مجلة
خطوة

الاستثمار في الطفولة المبكرة.. استثمار في المستقبل

مجلة فصلية متخصصة في الطفولة المبكرة يصدرها المجلس العربي للطفولة والتنمية - العدد (51) - ربيع 2025

ملف العدد

الطفل والحرب

العنف المسلح..
انتهاك للطفولة و«تفخيخ» للحاضر والمستقبل!

خطوة بخطوة
عرائس من الأطباق

الأطفال المهمشون.. في 10 فئات تدفع فاتورة باهظة

رؤية سيكولوجية
للأطفال في الحروب .. فلسطين أنموذجاً

تجربة حية
أهّلوا أطفالكم لممارسة حرية الرأي والتعبير

اضطراب الهوية الجنسية للأطفال
رحلة معقّدة بين الذات والمجتمع!

ملحق مع العدد
قصة كوكب واحد

عبدالتواب يوسف..
شجرة مصرية منتصرة

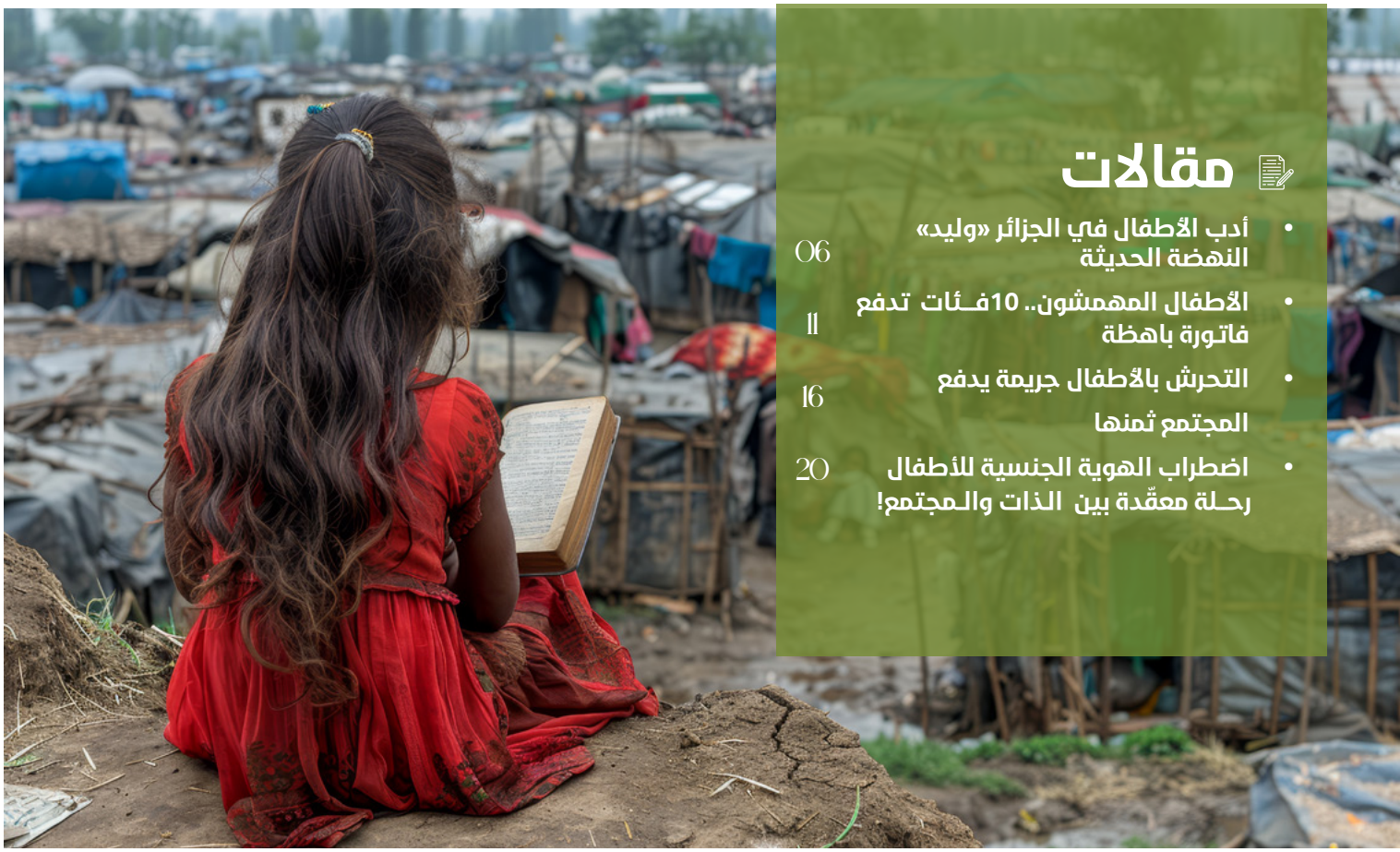

مقالات

- أدب الأطفال في الجزائر «وليد» النهضة الحديثة 06
- الأطفال المهمشون.. 10فـئات تدفع فاتورة باهظة 11
- التحرش بالأطفال جريمة يدفع المجتمع ثمنها 16
- اضطراب الهوية الجنسية للأطفال رحـلة معقّدة بين الذات والـمجتمع! 20

ملف العدد
الطفل والنزاعات المسلحة

- العنف المسلح.. انتهاك للطفولة و«تفخيخ» للحاضر والمـــــستقبل! 26
- كيف نحمي الأطفال في زمن الصراعات المسلحة؟ 32
- رؤية سيكولوجية للأطفال في الحروب .. فلسطين أنموذجًا 37
- كل ما يراه الطفل قد يُنسى إلا ويلات الحروب 42

«خطـوة» مجلـة علميـة تُعنـى بمرحلـة الطفولـة المبكـرة (مـن سـن الميـلاد - ٨ سـنوات)، تنشـر الفكـر التربـوي المسـتنير مـن وإلـى الممارسـين والمعنييـن بمرحلـة الطفولـة المبكـرة، وتنمـي اتجاهـات إيجابيـة لتنشـئة الطفـل فـي الوطـن العربـي، وفـق مقاربـة حقوقيـة تنمويـة فـي ضـوء متطلبـات مجتمـع المعرفـة.

هدية مع العدد

ملحق مع العدد

قصة كوكب واحد

شخصيات لها بصمات

اضاءات من حياة الكاتب الكبير
عبد التواب يوسف

52

تجربة العدد

تجربة حية لجمعية أصدقاء أحمد بهاء الدين
أهّلوا أطفالكم لممارسة حرية الرأي والتعبير

47

عروض العدد

في تقرير «يونيسف» عن حالتهم لعام 2024:
كيف نصنع مستقبلًا تتحقق فيه حقوق أطفال العالم؟

56

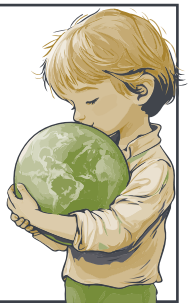

نشاط العدد

خطوة بخطوة
عرائس الأطباق

60

مجلة خطوة

خطوة مجلة فصلية متخصصة في الطفولة المبكرة
تصدر عن المجلس العربي للطفولة والتنمية برئاسة
صاحب السمو الملكي
الأمير عبد العزيز بن طلال بن عبد العزيز آل سعود

الإشراف العام
أ. د. حسن البيلاوي
أمين عام المجلس

هيئة التحرير
رئيس التحرير
إيمان بهي الدين

مدير التحرير
مروة هاشم

مسؤول الطباعة والنشر
محمد أمين

الهيئة العلمية (ترتيب أبجدي)
أمل فرح
إيمان بهي الدين
سوسن رضوان
د. شهيرة خليل
أ. د. كمال نجيب
محمد رضا فوزي
أ. د. م. محمد عطا

الهيئة الاستشارية (ترتيب أبجدي)
أ. د. أحمد أوزي
أ. د. إلهام ناصر
جبرين الجبرين
د. خولة مطر
د. سكينة بن عامر
عبد اللطيف الضويحي
غانم بيبي
أ. د. فادية حطيط
فاطمة المعدول
أ. د. ليلى كرم الدين

المجلس العربي للطفولة والتنمية أُسس عام 1987، بمبادرة كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبد العزيز، رحمه الله.

جميع حقوق الملكية محفوظة
للمجلس العربي للطفولة والتنمية

افتتاحية

يصدر العدد رقم (51) من مجلة خطوة متضمنًا ملفًا خاصًا حول موضوع «الطفل والحرب»، وذلك في توقيت بالغ الخطورة؛ خاصةً مع تصاعد وتيرة الحرب والنزاعات المسلحة في العالم أجمع، وبشكل خاص في المنطقة العربية التي أشرنا من قبل إلى أنها صارت تُصنف من أكثر المناطق اشتعالًا في العالم؛ حيث بلغ عدد اللاجئين والنازحين منها بالملايين. فالواقع العربي الحالي مُبكٍ ومأساوي، حين نشير إلى مناطق بعينها - خاصة غزة - وما يتعرض له الشعب الفلسطيني من إبادة ممنهجة من محتل غاشم.

وقد حرصت مجلة خطوة في هذا العدد أن تقدم عبر موضوعات الملف استكمال استعراض تأثير الحروب والنزاعات على الأطفال من الجوانب الجسدية والنفسية والاجتماعية والتربوية كافة؛ ولتؤكد - بموجب القانون الإنساني وكل المواثيق والاتفاقيات المعنية بحقوق الإنسان والطفل - أن العالم مسؤول وعليه أن يقوم بدوره من أجل وقف الحرب ونشر السلام والأمن والأمان، وبما ينعكس إيجابيًا على مستقبل الأطفال.

وقد حوى هذا العدد أيضًا مجموعة أخرى من المقالات التي تناولت قضايا غاية في الأهمية، مثل اضطراب الهُويَّة الجنسيَّة والتحرُّش بالأطفال، فضلًا عن الاستمرار في تقديم ألوان فنية وعلمية من نشاط وقصة وشعر وتجارب وخبرات، بما يسهم في تعزيز تنشئة الطفل.

سيتناول العدد القادم ملفًا جديدًا عن موضوع «التربية الرقمية» الذي يُعد تحديًا سيؤثر على مستقبل الأطفال، وهو ما يحتم على الجميع ضرورة العمل من أجل تهيئة وتمكين الأطفال لهذا المستقبل الرقمي، وذلك من خلال إكسابهم مجموعة من القيَم والمهارات وقواعد السلوك المتعلقة بالتعامل الأمثل مع التكنولوجيا والرقميات الافتراضية ووسائطها المختلفة.

نرحب دومًا بأية مساهمات من الخبراء والممارسين والمعنيين بتنشئة الطفل داخل مجلة خطوة، متطلعين أن تستمر خطوة كمنصة يتم من خلالها تقديم كل ما من شأنه تنشئة سليمة للطفل العربي في مرحلة الطفولة المبكرة.

والله وليُّ التوفيق .

أ. د. حسن البيلاوي

أمين عام المجلس العربي للطفولة والتنمية

المشرف العام على مجلة خطوة

مقـــالات

- أدب الأطفال في الجزائر «وليد» النهضة الحديثة 06
- الأطفال المهمشون.. 10 فئات تدفع فاتورة باهظة 11
- كيف تعرف اللمسة غير الآمنة لطفلك؟ التحرّش بالأطفال جريمة يدفع المجتمع ثمنها 16
- اضطراب الهوية الجنسية للأطفال «رحلة معقدة بين الذات والمجتمع» 20

أدب الأطفال في الجزائر
«وليد» النهضة الحديثة

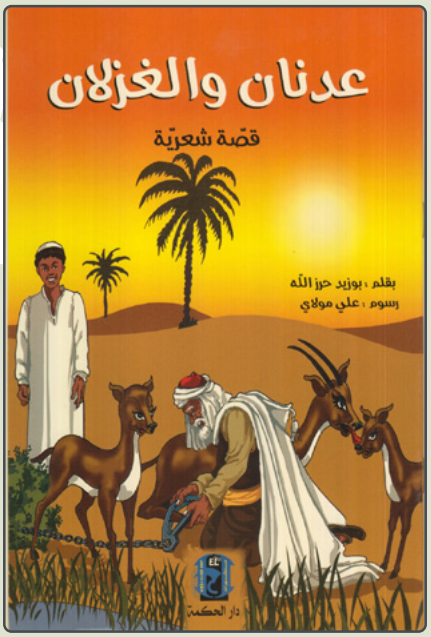

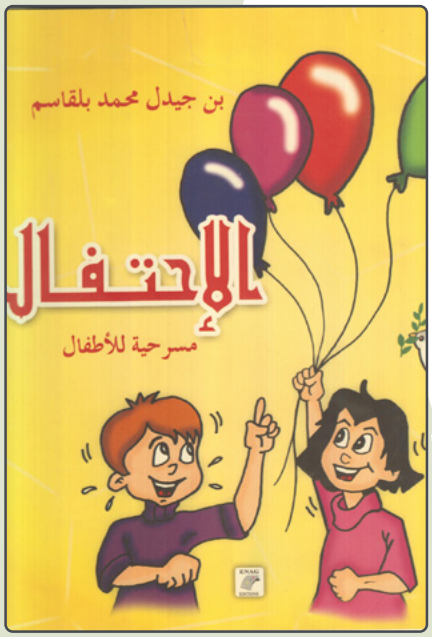

أسهمت وزارة الثقافة والفنون في الجزائر في نشر أدب الأطفال على نطاق واسع

أ. د. العبد جلولي
كاتب وأكاديمي - الجزائر

تعود النهضة الأدبية العربية الحديثة في الجزائر إلى ظهور الحركة الإصلاحية في مطلع القرن العشرين، ثم تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م فهي التي امتشقت الأقلام، وفتّقت القرائح، وصقلت المواهب، وربّت العبقريات الأدبية التي برزت في صفحاتها. وكان من نتائج هذه الحركة الإصلاحية أن انتشرت المدارس، فخطا التعليم الوطني الجزائري خطواته الأولى في أحضان الجمعية ذات التوجه الإصلاحي الديني، وعن هذا يقول محمد الحسن فضلاء: «والتعليم العربي الحر بمفهومه العصري الصحيح هو الذي أنشأته وقادته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برجالها وأبنائها وأنصارها، وأنها المهد الذي نشأ وتربى فيه الإسلام والعربية والوطنية الصادقة».

يؤكد هذه الحقيقة الشيخ **محمد البشير الإبراهيمي** في قوله: «وهذه الحركة العلمية الجليلة القائمة في القطر الجزائري هي الأساس المتين للوطنية الحقيقية، وهي التوجيه الصحيح للأمة الجزائرية، فغايتها التي ترمي إليها هي تصحيح القواعد المعنوية؛ من دين وعقل وروح وفكر وذهن، وتقوية المقومات الاجتماعية؛ من دين ولغة وفضائل وأخلاق. هذه حقيقة لا يماري فيها إلا مكابر. وهذه الحركة العلمية لم يضع أصولها العلمية، ولم ينظم قوافلها، ولم يحمِ حماها من كل دساس وخناس إلا جمعية العلماء. وهذه حقيقة أخرى لا يكابر فيها إلا حسود، أو متبع لهواه، أو مسخر للاستعمار».

كما يؤكد هذه الحقيقة أيضًا الشيخ عبد الحميد بن باديس في قوله: «الحقيقة التي يعلمها كل أحد، أن هذه الحركة الأدبية ظهرت واضحة من يوم أن برزت جريدة «المنتقد»، فمن يوم ذاك عرفت الجزائر من أبنائها كتابًا وشعراء ما كانت تعرفهم من قبل».

وفي ظل هذه البيئة الإصلاحية، وفي مدارسها ومعاهدها، بدأت تتشكل ملامح أدب طفلي جزائري متأثرًا بهذه البيئة، ومحققًا لغاياتها وأهدافها؛ وكان معظم منشئيه في بداية الأمر من معلمي المدارس الحرة يبتغون من خلاله تحقيق غايات تربوية ومقاصد أخلاقية.

النصوص الموجهة للأطفال

الحقيقة أنه من الصعوبة البالغة محاولة تحديد تاريخ معين لبداية هذا اللون من الكتابة في الأدب الجزائري الحديث، غير أن النص الشعري الموجه للأطفال كان أسبق في الظهور من النص النثري؛ نظرًا إلى أن الشعر هو الفن المتوارث من أجيال عديدة، ولأن الظروف التي كانت تعيشها الجزائر في تلك الفترة، خصوصًا النصف الأول من القرن العشرين، كانت أنسب لظهور فن الشعر بصفة عامة، سواء الشعر الموجَّه للكبار أم الشعر الموجَّه للأطفال، فمعظم الرواد الأوائل الذين أثروا الحركة الأدبية بإنتاجهم كانوا شعراء، كما كانوا دعاة إصلاح ديني واجتماعي.

والذي يعود إلى ما كان يكتبه معلمو وشيوخ المدارس الإصلاحية سيجد نصوصًا شعرية كثيرة موجهة لأطفال المدارس وفتيانها، وكلها تهدف - كما بيّنا سابقًا - إلى تحقيق غايات إصلاحية، وأهداف تربوية، ومقاصد أخلاقية؛ ولعل أقدم هذه النصوص يعود إلى عقد الثلاثينيات من القرن العشرين، ففي تلك الفترة نظم الشاعر محمد العيد آل خليفة (1904 _1979م) مجموعة من القصائد الشعرية موجهة لأطفال المدارس، وفتيان الكشافة الإسلامية، والمتصفح لديوان محمد العيد يلاحظ وجود قصائد كثيرة تدور موضوعاتها حول الشباب والأطفال، إضافة إلى نصوص كثيرة طبعت بمفردها في كتاب مستقل، كمسرحية **«بلال بن رباح»** التي نظمها خصيصًا لأطفال المدارس ونشرتها المطبعة العربية بالجزائر سنة 1938م، وقصيدة **«أنشودة الوليد»** التي طُبعت أيضًا بالجزائر سنة 1938م، ووُزعت على مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وفي الفترة الممتدة ما بين 1935م و1962م نظم **الشيخ محمد الطاهر التليلي القماري** (1910م - 2003م)، مجموعة من القصائد موجهة إلى تلاميذ المدارس، خصوصًا تلك المدارس التي عمل بها في المدن الجزائرية كمدينة **«بجاية»** و**«عنابة»** و**«العاصمة»** و**«توقرت»** و**«الوادي»** و**«قمار»**، وقد جُمعت هذه القصائد وطُبعت بقمار في ديوان مستقل يحمل عنوان **«منظومات تربوية للمدارس الابتدائية»**، وهذه المنظومات جزء من ديوانه **«الدموع السوداء أو مرآة حياتي»**.

وفي الفترة نفسها، نظم **الشيخ محمد بن العابد الجلالي** (1890 – 1967) مجموعة من القصائد الشعرية،

> الجامعات الجزائرية فتحت أبوابها لأدب الطفل فظهر نقاد كبار أثروا الساحة بكتاباتهم

والمنظومات التربوية موجهة إلى أطفال المدارس الابتدائية، وقد طُبعت هذه المجموعة بتونس سنة 1939م بعنوان **«الأناشيد المدرسية لأبناء وبنات المدارس الجزائرية»**.

وبعد الحرب العالمية الثانية ازداد انتشار التعليم العربي الحر ، وازداد عدد المدارس، وازدادت الحركة الكشفية الجزائرية؛ الأمر الذي دفع الشعراء إلى التوجه لأطفال هذه المدارس والأفواج الكشفية بنصوص شعرية ذات طابع تربوي ووطني. ففي هذه الفترة نظم محمد الأخضر السائحي مجموعة من القصائد والأناشيد موجهة للأطفال كقصيدة **«طفلتي»** التي نظمها سنة 1949م، وقصيدة **«في عيد ميلادها»** سنة 1961م.

كما نظم **محمد الصالح رمضان** ديوان **«ألحان الفتوّة»** وهو عبارة عن أناشيد كشفية ذات طابع وطني وتربوي، وقد طُبع هذا الديوان للمرة الأولى في تلمسان بمطبعة ابن خلدون سنة 1953م، ثم أعيد طبعه بعد الاستقلال بدار الكتب بالجزائر سنة 1985م.

كما نظم **الشيخ أحمد سحنون** (1907 _2003م) مجموعة من القصائد موجهة للأطفال والشباب في مناسبات مختلفة، والمتصفح لديوانه يلاحظ هذه الظاهرة بشكل بارز. كما يلاحظها عند معظم شعراء الاتجاه الإصلاحي الذين ارتبطوا بوظيفة التدريس أو كانوا على صلة قوية بالحركة الإصلاحية ومدارسها العربية الحرة، ومن هؤلاء: محمد اللقاني بن السايح، وأبو بكر بن رحمون، وعبد الرحمن بالعقون، ومحمد الهادي السنوسي الزاهري، وجلول البدوي، ومحمد الشبوكي، والربيع بوشامة، وعبد الكريم العقون، وأبو القاسم خمار، وعمر البرناوي، ومفدي زكريا، وموسى الأحمدي نويوات.

والحقيقة أن النص الأدبي الموجه للأطفال عمومًا لم يظهر في هذه المرحلة جنساً أدبياً مستقلاً؛ ذلك أن أدب الطفل لم يتبلور وقتئذ بوصفه أدبًا قائمًا بذاته له خصوصياته الفنية والنفسية والتربوية، وإنما كانت هذه القصائد والمنظومات والقصص والمسرحيات تدور في فلك المدرسة لتحقيق غايات تربوية ودينية، وتأتي في ثنايا دواوينهم الشعرية، وقلما تُفرد لها ديوانًا أو كتابًا خاصاً، وإن شذّت عن القاعدة وأفردت لها ديوانًا خاصا فهي لا تخرج عن نطاق المدرسة إلا نادراً.

وكان لانطلاق الثورة الجزائرية في الفاتح من نوفمبر عام 1954م أثر واضح في الأدب الجزائري بصفة عامة؛ فقد فجرت في الأدباء الحماسة ليكتبوا عن نضال الشعب الجزائري، وعن الحرب التي خاضها من أجل الحرية والاستقلال، ففي أثنائها ظهرت معظم المجموعات القصصية بالعربية والفرنسية، غير أن الساحة الأدبية ظلت تفتقر إلى النص المكتوب للأطفال، وإن وجد الأطفال في بعض هذه المجموعات القصصية والدواوين الشعرية ضالتهم؛ لأنها كُتبت بأسلوب سهل بسيط، ما عوض هذا النقص، وملأ هذا الفراغ. ومن هذه المجموعات القصصية التي ظهرت في تلك الفترة مجموعة **«صور من البطولة»** التي اشترك في تأليفها كل من فاضل المسعودي ومحمد الصالح الصديق، وقصة **«مغامرات كليب»** لمحمد الصالح رمضان، التي عدها عبد الملك مرتاض قصةً من أدب الأطفال.

الاستقلال وتحرر الأدب

بعد الاستقلال بدأت في الجزائر نهضة جديدة، وأخذت البلاد تتغير ملامحها نحو الأفضل، فانتشر التعليم، وانتشرت معه حركة ثقافية حاولت تعويض سنوات التخلف والجهل. وكان التركيز يومئذ منصبًّا على أدب الكبار وثقافتهم، ولم يهتم أحد بثقافة الأطفال وأدبهم إلا في السبعينيات؛ حين شرعت الشركة الوطنية للنشر والتوزيع وقتئذ في نشر هذا الأدب والاهتمام به، ونستطيع أن نقسم هذه المرحلة إلى فترتين:

الفترة الأولى: وهي استمرار لمرحلة ما قبل الاستقلال حيث واصل الشعراء المعلمون نظم قصائدهم المدرسية ونشرها ضمن دواوينهم الموجهة للكبار ، نلاحظ هذا في ديوان محمد الأخضر السائحي، ففي **«همسات وصرخات»** مجموعة كبيرة من القصائد موجهة للأطفال، والشيء نفسه عند كثير من الشعراء الجزائريين؛ أمثال

أبو القاسم سعد الله، وعمر البرناوي، وأبو القاسم خمار وغيرهم، ومع ذلك فقد سدت هذه القصائد فراغًا كبيرًا في هذا المجال، إذ كان الاعتماد في هذه الفترة على الإنتاج العربي خصوصًا ما يرد من مصر ولبنان وسوريا، والمتصفح للكتب المدرسية في المرحلة الابتدائية والمتوسطة يلاحظ وجود قصائد كثيرة لشعراء مصريين وسوريين وعراقيين؛ أمثال: سعيد جودة السحار، وإبراهيم طوقان، وحافظ إبراهيم، ومصطفى عكرمة، وسليمان العيسى، وغيرهم.

وفي هذه الفترة حاول بعض المربين تأسيس أندية وجمعيات تهتم بأدب الأطفال، غير أن محاولاتهم لم يكن لها صداها عند الشعراء، ومن هذه المحاولات ما قام به المعلم والمربي عبدالقادر بن محمد بن القاضي، الذي يقول في ديوانه «بوابات النور» معلقًا على قصيدة موجهة للأطفال عنوانها «الفراشة»: «قصيدة من مجزوء الرجز نُظمت في وصف الفراشة، وهي نموذج من أدب الأطفال قد كوّنت له جماعة من شعراء قسنطينة لطرقه، ولكن توقفت هذه الحركة الفتية لما غادرت الأكاديمية بقسنطينة في شهر مايو 1971م ملحقًا بوزارة التعليم الابتدائي والثانوي».

وفي هذه الفترة أيضاً شرعت مجلة **«همزة وصل»** التي كانت تصدر عن وزارة التعليم الابتدائي والثانوي في تخصيص ركن من أركانها لأدب الأطفال، وقد نشر هذا الركن مجموعة من القصائد لشعراء جزائريين وعرب، ففي عددها الثالث الصادر في الموسم الدراسي 1973_1974م نقرأ الموضوعات الآتية: «العلم الجزائري» لعبد القادر بن محمد، و**«نشيد الصباح»** لعلي عبد الواحد، و**«آداب المرور» لأحمد الصعيدي**، و**«نشيد الهر والفئران»** لمحمد قايد. وفي عددها السابع الصادر في الموسم الدراسي 1974 _1975م نقرأ الموضوعات الآتية: **«تحية للمؤتمر العاشر لأدباء العرب»** لعبدالقادر بن محمد، و**«الجندي المعطوب»** لسعدي الطاهر، و**«تعلموا يا إخوتي»** لأحمد الصعيدي. وفي العدد الثامن الصادر في الموسم الدراسي 1947_1975م نقرأ الموضوعات الآتية: **«دعوا النعاس وهُبّوا»** لموسى نويوات الأحمدي، و**«وعظ النفس»**، و**«مواقف رجال»**، وغيرها من الموضوعات.

الفترة الثانية: تبدأ هذه الفترة مع حلول سنة 1979م وهي تصادف السنة الدولية للطفولة، وفيها بدأنا نلاحظ توجّه دور النشر والمؤسسات الثقافية نحو الاهتمام بأدب الأطفال، حيث بدأ بعض الشعراء إصدار دواوين مكرسة للأطفال، وشرعت المؤسسة الوطنية للكتاب سابقًا ودور نشر خاصة في نشر هذه الأعمال. ومن الأسماء التي سجلت حضورًا بارزًا في هذا المجال الشاعر محمد الأخضر السائحي، الذي نشرت له دار الكتاب بالجزائر **«ديوان الأطفال»** سنة 1983م، ثم أعادت المكتبة الخضراء بالجزائر نشره سنة 2000م تحت عنوان «أناشيد وأغاني الأطفال»، كما نشرت له المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1983 أيضًا ديوانًا للأطفال يحمل عنوان «أناشيد النصر» صدر ضمن سلسلة «شموع: أناشيد وقصائد للشباب». وضمن السلسلة نفسها نشرت المؤسسة الوطنية للكتاب الدواوين الآتية: ديوان **«الفرحة الخضراء»** لمصطفى محمد الغماري سنة 1983م، و**«البراعم الندية»** للدكتور محمد ناصر سنة 1984م، و**«ويأتي الربيع»** لسليمان جوادي سنة 1984م، و**«أناشيد الأشبال»** سنة 1985م، و**«حديث الفصول»** بوزيد حـــــرز الله سنة 1986م، و**«نسمات»** ليحيى مسعودي سنة 1986م، و**«نحن الأطفال»** لمحمد الأخضر عبد القادر السائحي.

ومع بداية الثمانينيات ظهرت في الجزائر دور نشر خاصة كثيرة، وتنافست هذه الدور على نشر قصص الأطفال ومسرحياتهم ودواوين أشعارهم، فظهرت أسماء بارزة في هذا المجال منهم **الأديب خضر بدور**، وله في ثقافة الأطفال وأدبهم إسهامات عديدة؛ فقد كتب القصة ونظم الشعر. وله في مجال الشعر ديوان **«أنغام الطفولة»** الذي صدر عن المؤسسة الوطنية للكتاب ضمن سلسلة **«أغيلاس»** سنة 1992م ، وديوان **«روضة الأناشيد للأطفال والفتيان»** الذي صدر عن دار المستقبل بدمشق، ومسرحية غنائية للأطفال بعنوان **«الشيخ وأبناؤه»** صدرت عن دار الهدى في عين مليلة سنة 1997م. كما صدر عن الدار نفسها ديوان **«أنغام الطفولة»** و**«أناشيد الطفل المسلم»**.

وقد أسهم الشاعر بوزيد حرز الله في مجال الشعر القصصي المستوحى من خرافات لافونتين وله فيه مجموعات كثيرة؛ نذكر منها «الأسد والفأر» و**«الغراب والثعلب»** و**«عدنان والغزلان»** و**«الحصان والحمار»** و**«جزاء الإحسان»** وغيرها، إلى جانب ديوانه السابق الذكر **«حديث الفصول»** الصادر عن المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1983م. كما صدر له ديوان «علمتني بلادي» وهو من منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين سنة 2003م.

كما يعد الشاعر مصطفى محمد الغماري من المهتمين بهذا اللون من الشعر ؛ فإضافة إلى ديوانه **«الفرحة الخضراء»** الصادر عن المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1983م، له أيضاً دواوين أخرى مخصصة للأطفال، منها ديوان **«أناشيد»** الصادر عن دار الشهاب، وديوان **«حديقة الأشعار»** الصادر عن الدار نفسها.

وللشاعر **جمال طاهري** إسهامات معتبرة أيضاً في هذا المجال؛ منها: ديوان **«أغاني لابنتي»** الذي نُشر أول مرة

بمجلة «الجزائرية» الصادرة في 1 يونيه 1978م في عدد خاص، وله أيضاً ديوان «نفح الياسمين» الصادر عن دار البعث بقسنطينة سنة 1980م، ثم شرع منذ 1991م في نشر مجموعات شعرية للأطفال بعنوان «الزهور»، وهي قصائد للفتيان والفتيات بلغت أربعة أجزاء نشرتها مؤسسة أشغال الطباعة بالمدينة.

قصص للأطفال

أما في مجال القصة فقد ظهرت أولى القصص الموجهة للأطفال مع بداية الثمانينيات، ففي هذه المرحلة ظهر كتاب كبار استطاعوا أن يبدعوا في فن القصة المكتوبة للأطفال، غير أن بعضهم لم يستمر في الكتابة في هذا المجال، فاكتفى بخوض التجربة، بعد أن كتب قصة واحدة ثم توقف عن الكتابة، أمثال: واسيني الأعرج، وعبد الحميد بن هدوقة، وجيلالي خلاص، والطاهر وطار.

إضافة إلى هؤلاء برزت بالساحة الأدبية وجوه كثيرة توجهت بأدبها للأطفال، نذكر على سبيل المثال أولئك الذين فازوا في المسابقات الخاصة بأدب الأطفال التي دأبت وزارة الاتصال والثقافة على تنظيمها في تلك الفترة (سنة 1997) ؛ أمثال: الشاعر نور الدين درويش، وصلاح الدين باوية، ومحمد فضيلي، وكمال سقني، ومحمد قادري، والسعيد قعر المثرد ، ويحيى أمسقم، وحسين عبروس، ورشيد أوزاني، ومحمد شايطة، وحسن دواس، والزبير دردوخ، وغيرهم.

أو أولئك الذين فازوا بجائزة المجلس الأعلى للغة العربية؛ الخاصة بالنصوص المسرحية الموجهة للأطفال سنة 2009/2008، ومنهم: حسين سوفات، وسريو بوجمعة، وكريمة سهلي، وعبد المجيد شريف، ومصطفى بن دهينة، وصليحة جيجيك، وفخار بكير بن محمد بن عيسى، وعائشة بن عبيد، وحسينة فلاح، وحسن ملياني، وحفيظة غواري.

كما توجه آخرون إلى القصة ورواية الفتيان؛ منهم أحمد منور في قصة **«البحيرة العظمى»** و**«بركات لالة ستي»**، ومسرحية **«السباق الكبير أو وصية ميمونة السابعة»**.

ومن كتاب القصة الموجهة للأطفال في الجزائر محمد المبارك حجازي، ومليكة قريفوا، وعبد العزيز بوشفيرات، ومحمد شنوفي، وابن علي محمد الصالح، ورابح خدوسي، وعز الدين جلاوجي، ولينة عيادي، وبشير سنيقرة، ومحمد صالح ناصر، وعلاوة كوسة، ورجب بن محمد، وحميدة ملزي سعيدة، وحسيبة موساوي، وبن جيدل محمد بلقاسم، ومصطفى حركات، ولمحمد الصالح حرز الله.

كما نُشرت مجموعات شعرية للأطفال ، نذكر منها:

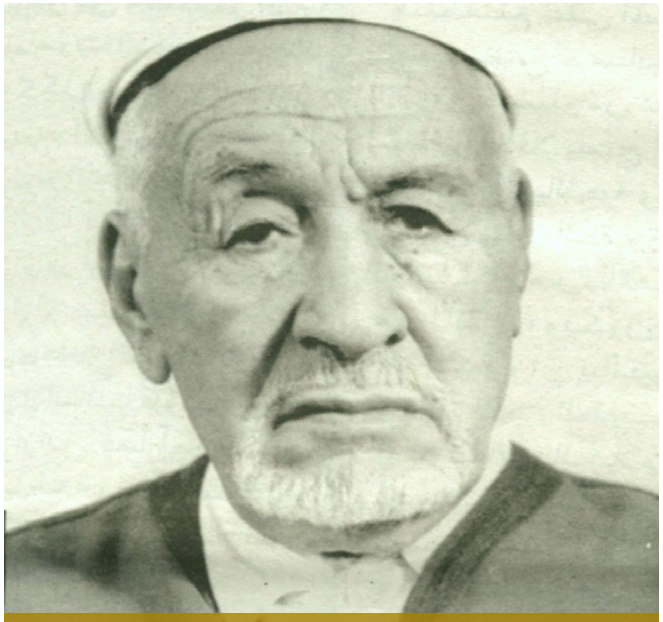

معلمو وشيوخ المدارس الإصلاحية كتبوا نصوصًا شعرية موجهة للأطفال.

«أغاريد الجنة من حكايات كليلة ودمنة»، وهي أناشيد تربوية مستوحاة من كتاب كليلة ودمنة - كما يشير عنوانها - للدكتور **صلاح يوسف عبد القادر** ، و**«أهازيج الفرح»** لحسن دواس، و**«أغاريد»** لرزاق محمود الحكيم، و**«رجاء»** لناصر لوحيشي، و**«أشواق علوية.. متعالية للبراءة والطفولة»** لطاهر أحمد طالبي، و**«أناشيد ومسرحيات تربوية لتلاميذ المراحل الأساسية»** و**«واحة البراعم»** للحسن الواحدي، و**«أناشيد للأطفال»** لعمار خلوف نورة، و**«مختارات الأناشيد الوطنية»** للحفصي بوعلاق، و**«روضة البراعم»** لصاري إدريس، و**«نفحات من الحياة»** جمعها ونسقها الأستاذ يونس بن محمد فرصوص، و**«ورد وسكر»** لمحمد كاديك.

والحقيقة أن الجامعات الجزائرية فتحت أبوابها لهذا الأدب، فأصبح يدرّس في أقسام اللغة العربية وآدابها وتُنجز فيه الرسائل والأطروحات، وتقام لدراسة أدبه الملتقيات ووحدات البحث، فظهر نقاد كبار أثروا الساحة بكتاباتهم النقدية في مجال أدب الأطفال؛ نذكر منهم العيد جلولي، وأحمد منور، ومحمد مرتاض، وحسين عبروس، وعبد القادر عميش، وسعيد بهون علي، وعائدة بومنجل، وحفناوي بعلي، والربعي بن سلامة، ومحمد الطاهر بوشمال، وغنية دومان، وهاجر ظريف، ومحرزيو عوادي، ومريم حاجي، وزهراء خواني، وحامدي فطيمة وغيرهم.

كما أسهمت وزارة الثقافة والفنون في الجزائر في نشر أدب الأطفال على نطاق واسع؛ من خلال نشر المجموعات القصصية والدواوين الشعرية وتشجيع كل ما له صلة بهذا الأدب.

الأطفال المهمشون.. في 10 فئات تدفع فاتورة باهظة

مرح حسن
كاتبة - سوريا

الأطفال المهمشون، أو المحرومون أو المهملون اجتماعيًا، ظاهره مؤسفة لأن التهمش هو حرمان للطفولة ولمباهجها، كما أنه يأخذ شكل الحرمان من أبسط مقومات الحياة الكريمة. ولأن الطفولة تتطلب عناية خاصة وحماية قانونية مع حسن تربية الطفل وتكوينه؛ فإنها لا تكون قضية الطفل وحده، وإنما هي قضية المجتمع بكامله. ويشمل التهمش عدة فئات؛ يعيشون كلهم على ضفاف الحياة، بفعل ظروف موضوعية وأخرى ذاتية وفي كثير من الأحيان تكون بفعل فاعل، لكننا جميعًا في النهاية معنيون بهذه الفئات.

الأطفال الفقراء يضطرون إلى ترك التعليم وهم في سن اللعب

أولًا: الأطفال الأيتام

الطفل اليتيم كان يجد السند في أفراد عائلته، وفي ظل تحولات الحياة الاجتماعية، أو ربما الضيق المادي، حصل تضييق للأسرة وتباعد بين الأقارب، حتى أضحى مستحيلًا وجود متكفل بالأيتام من بين أولئك. ومع العلم أن الملاجئ تحاول التكفل بهم، فإنها لا تستوعب جميع الأيتام، ولا تشبع كل حاجاتهم، كما أنها لا تغطي كل المناطق.

ثانيًا: الأطفال ذوو الإعاقة

إن كلمة معاق تعني كل طفل غير قادر على العيش بشكل طبيعي، ولا يستطيع تأمين متطلباته بشكل كامل أو جزئي، وذلك بسبب نقص خلقي أو غيره في قدراته الجسمية أو الذهنية. كما أنه لا يمتلك القدرة على التعايش بشكل طبيعي في المجتمع.

ثالثًا: الأطفال الفقراء

هناك شرائح من الفئة الفقيرة التي تشترك فيها جميع الدول.

الأطفال المشردون يُنشِئون أحياء عشوائية وبيئات غير سليمة خاصة بهم تمثل خطراً على المجتمع

والتفاوت بين الطبقات الاجتماعية هو سبب تزايد هذه الفئة. كما أن أكثر المتضررين هم الأطفال الذين يحرمون من أبسط حقوقهم، فيضطرون غالباً إلى ترك المدرسة في سن مبكرة، أو عدم دخولها مطلقاً من الأساس، ليبدؤوا العمل وهم في سن صغيرة، سن اللعب، أو يضطروا إلى التسول أو التشرد أو الجنوح. ومن المعلوم أن معظم الأطفال الذين في تماس مع القانون هم من الفئة الفقيرة، والأفعال المرتكبة معظمها سطو أو سرقات بهدف تأمين حاجة الطفل للعيش، ولعل هذا يكفي لبيان أبعاد الفقر وأثره في الأطفال والمجتمع.

رابعًا: الأطفال غير المتعلمين

من المؤسف أن الدول العربية تحتل المراكز الأولى في قائمة أعلى نسبة للأمية مقارنةً بدول الغرب، ولاسيما بين الإناث. من المؤكد أن المدرسة تقدم للطفل نصيباً من التربية والاندماج. كما أن الأنشطة المدرسية تساعد الطفل على تفريغ طاقته، وتساعده على التخلص من شرور الكبت والضغط النفسي. كما أن الطفل يقضي معظم أوقاته داخل مدرسته؛ ما يحصنه من الارتماء في أحضان الشارع ومخاطره.

خامساً: الأطفال المشردون

التشرد المتزايد ظاهرة خلفتها عدة أسباب، منها الأزمات الاقتصادية أو انخفاض الدخل، وغير ذلك. يتمركز أغلب المشردين في المدن الكبرى، كما أنهم أنشئوا أحياء عشوائية وبيئات غير سليمة خاصة بهم.

ومن المؤسف أن المجتمع ينظر للمشرد بغير مسؤولية ولا وعي لمخاطر هذا الأمر. إن الطفل المشرد يشكل خطراً أولاً على نفسه ومستقبله، وثانياً على المجتمع ، فربما يضطر للسرقة لسد متطلباته ، فهو لا يتمتع بالوعي ولا يتقيد بضوابط المجتمع. كما أن معظمهم غير متعلمين ولا ينخرطون في المجتمع بشكل سليم، وهذا يشكل خطراً على مستقبلهم.

سادسًا: الأطفال النازحون

دعونا نتفق على أن التشرد المتزايد قد يكون بسبب النزوح أيضاً. والأطفال النازحون يشكلون الخطر نفسه الذي يشكله الأطفال المشردون. ربما يحدث التشرد داخلياً بحثاً عن الاستقرار أو مصدر للرزق، وقد يكون خارجياً من دولة إلى أخرى، ولهذا أسبابه المختلفة. ومن المعلوم أن الطفل يعاني عند تغيير محيطه الاجتماعي، وقد يعاني عدم الاندماج، أو صعوبة في تقبل ثقافة المنطقة التي نزح إليها؛ فاختلاف الثقافات كثيراً ما يخلق لدى الطفل تمزقاً في تكوينه، فهو عادة لا يحتفظ بهويته الثقافية الأصلية، كما أنه لا يستسلم بالكامل لثقافة البلاد إن كانت أجنبية، وهذا يؤدي إلى تشتته وتمزق هويته الثقافية والعقائدية ويعرضه للتهميش.

الأطفال النازحون يخرجون من أوطانهم منهكين نفسياً إلى حضن غريب يصعب عليهم التعايش معه

سابعاً: الأطفال اللاجئون

المعاناة مشتركة بين هذه الفئة وسابقتها ؛ فهي الحرمان من الاستقرار. ولكن هذه الفئة تتميز بالحرمان من حق المواطنة. هناك فئات كبيرة من اللاجئين أُجبروا على اللجوء من موطنهم بحثًا عن مكان آمن، وتتعدد أسباب اللجوء. وتتعدد أسباب النزوح من الحروب الداخلية إلى حروب سياسية أو نزاعات أهلية.. إلخ، حتى صار العالم يعج بملايين اللاجئين. ومن المعلوم أن أكبر المتضررين هم الأطفال مهما يكن سبب اللجوء، وهم يخرجون منهكين نفسياً بسبب أوضاع معينة أو حروب، ليجدوا أنفسهم في حضن غريب يصعب عليهم التعايش معه.

ثامناً: الأطفال المعزقون عائلياً

تفكك العلاقات الأسرية قد يكون سببه وفاة أحد الأبوين أو كليهما، أو نتيجة انفصال الزوج أو الزوجة، وغالباً تكون النسبة الأكبر انفصال الزوجة بسبب طلاق أو هجر أو تعنيف الأسرة؛ المساهم الأول في تكوين الطفل كما أنها ملاذ الأمان وفيها العطف والمودة والاستقرار ، وحين تتفكك الأسرة تتسبب عادة في أزمات نفسية واجتماعية للطفل.

تاسعاً: الأطفال غير الشرعيين

تفاقمت هذه الظاهرة في الآونة الأخيرة، وسبب تفاقمها هو الانفتاح اللامحدود، الذي يصل غالباً إلى حد الانحلال، لتزداد جرائم العرض والاغتصاب. وما زاد الأمر سوءاً هو الأزمات المادية، التي جعلت بعض الفتيات تضطر إلى بيع عرضها، إما لكسب لقمة العيش، أو بحثاً عن الثراء، ليتسبب ذلك في ولادة الأطفال غير الشرعيين. ومن المعلوم أن الزواج هو المجال الشرعي للتناسل، كما أنه وسيلة لإثبات النسب.
الطفل غير الشرعي هو ضحية خطأ الوالدين، وإذا سمحت الظروف لبعضهم بالحصول على مأوى فمن الممكن أن يضمن لهم الرعاية لفترة محدودة، ولكن النتيجة الحتمية هي الاضطرار إلى الخروج ومواجهة المجتمع بهوية «ابن غير شرعي» ، لتبدأ رحلة بحثه عن وطن لا يعترف أفراده بأمثاله، ويصر على حرمانهم من أبسط حقوقهم؛ ما يتسبب لهم في أزمات نفسية مهولة، فهم وحدهم من يتحملون عواقب هذا الخطأ، وما زاد الأمر سوءاً هو أن المجتمع يحاربهم وينبذهم.

عاشراً: الأطفال المتكفّل بهم «المتبنّون»

إن الأطفال المتكفل بهم أو «المتبنون» هم من أبعدوا عن أسرهم الحقيقية، والمحظوظون منهم من يجدون أسرة أخرى تتكفل بهم، ولكن هل يندمجون في أسرتهم الجديدة؟ وهل يحق لهم ما يحق للطفل ذي الظروف الطبيعية؟.. إن الكثيرين من الأطفال المتبنين

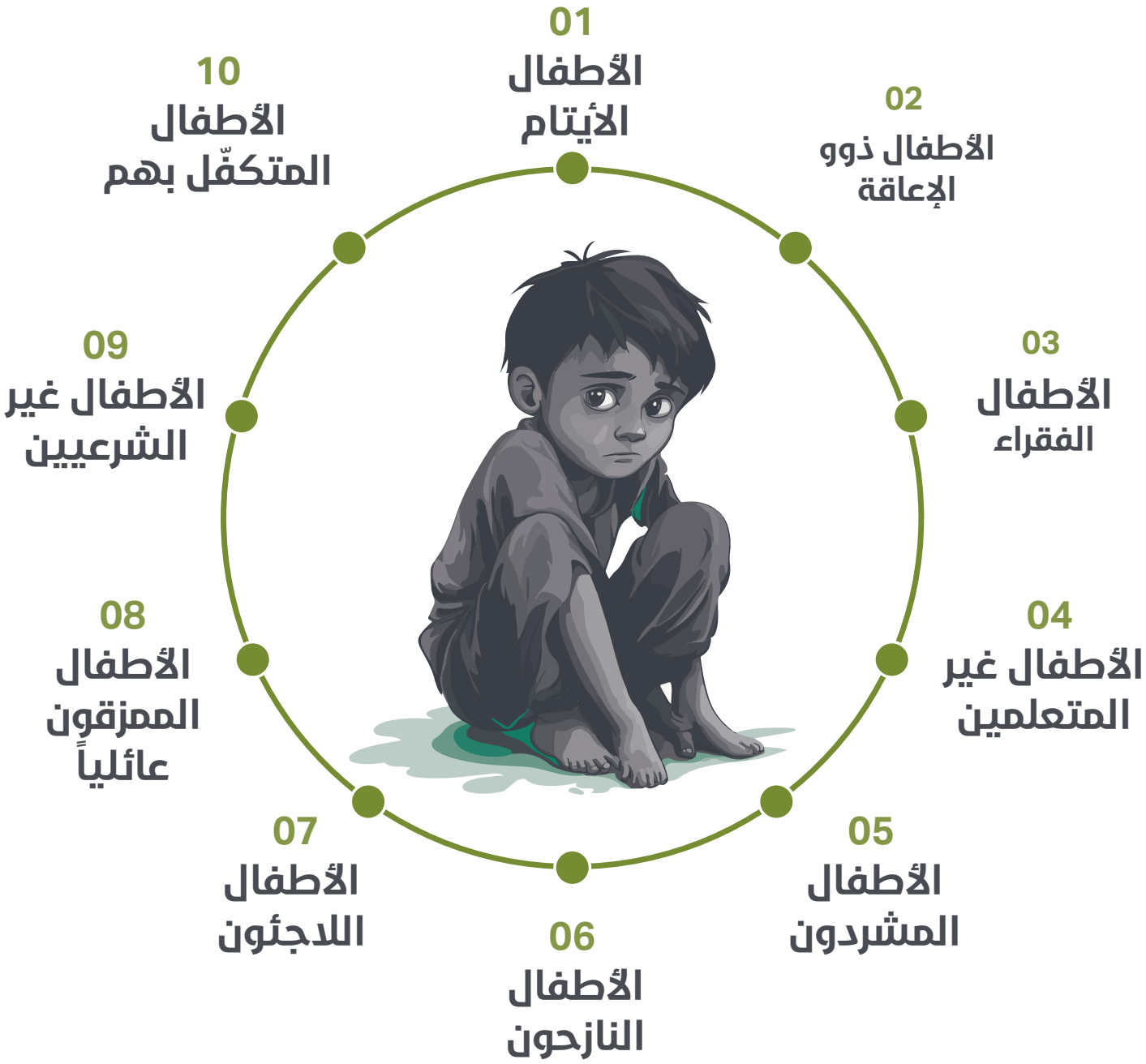

يتعرضون لأصناف من المعاناة، وذلك لأن الطفل المتبنى عادة لا يحمل اسم الأسرة التي تكفلت به، وعندما يبلغ ويعرف حقيقة الأمر وأنه لا ينتسب إلى هذه الأسرة تتولد لديه صدمات نفسية.

وما الحل؟

إن أعداد هذه الفئات المهمشة بالملايين، ولكن الأسوأ لهؤلاء الأطفال هو الاستمرار في تجاهلهم، فهم يتعرضون للانتهاكات والتجاوزات، وبخاصة أولئك الذين يعيشون من دون هوية، فهم يسقطون ضحية سهلة لكل أنواع الانتهاكات، ويجب علينا ألا نتجاهل وضع هذه الفئات، لاسيما أن الكثيرين منهم يتعرضون للاستبعاد اجتماعياً وتعليمياً.

إن من حق هذه الفئات العيش في حياة طبيعية. كما يجب إعادة تأهيل الطفل الجانح لا عقابه، لأن الطفل الجانح من هذه الفئات هو طفل مريض وليس مجرماً. هم لم يستطيعوا التكيف مع الواقع، ويجب أن تحصل كل فئة منهم على دراسة خاصة لنساعدهم ونقف بجانبهم، ونوفر لهم الأمان كي لا يضطروا إلى الجنوح.

يجب العمل على تحقيق فرص عادلة لكل فئة من هذه الفئات؛ فهم يعانون عدم الاستقرار النفسي أو العائلي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي. وفي المرتبة الأولى عدم رفض التعليم لهذه الفئات مهما تكن؛ فالتعليم يساعدهم على التفكير والتجاوب وتقبل نواميس الحياة الاجتماعية وضوابط المجتمع، والمدرسة تساعد أيضاً على بناء شخصية الطفل والتربية السليمة.

كيف تعرف اللمسة غير الآمنة لطفلك؟

التحرّش بالأطفال جريمة يدفع المجتـــــمع ثمنها

آثار التحرش.. العزلة والشعور بالاكتئاب والميل إلى العنف وصعوبة النوم

د. نادية أحمد عويس
دكتوراه في التربية الخاصة - مصر

التحرش آفة من آفات المجتمع، بدأت من حيث لا ندري، واستشرت في كثير من المجتمعات ومع كثير من فئات المجتمع، وراح ضحيتها الكثير من النساء والفتيات. وحتى الأطفال لم يسلموا من هذا الوباء، وقد تحدث من الغرباء أو من الأفراد المقربين من العائلة؛ من السائقين، أو المدربين، أو المعلمين، أو غيرهم. ورغم اختلاف الجاني والضحية فإن السمة الغالبة هي الآثار النفسية والاجتماعية والجسدية السيئة التي تنجم عن حدوث التحرش؛ ولذا ظهرت الحاجة لمواجهة هذه الظاهرة والتصدي لها بشدة ونشر التوعية ضدها، وذلك من خلال التربية الجنسية السليمة للطفل منذ الصغر.

ما التحرش؟

هو كل قول أو فعل فيه اعتداء على شخص آخر بطريقة مهينة، ويؤدي إلى انتهاك للمساحة الشخصية له، فالتحرش هو الأفعال التي تؤدي إلى الإيذاء النفسي والجسدي والجنسي وغيرها من أشكال الإيذاء الأخرى، وغالباً ما تكون الفتيات والنساء والأطفال أكثر عرضة له، ويترك التحرش في نفس المتحرَّش به أثراً بالغ الصعوبة، ويجعله يشعر بمشاعر سلبية كثيرة ومؤلمة تجاه نفسه وتجاه المجتمع بأسره.

أنواع وأشكال التحرش

هناك عدة أنواع وأشكال من التحرش؛ فهناك التحرش اللفظي من خلال مضايقة الفتيات والنساء ببعض الكلمات الخارجة، التي تصف مفاتنهن بشكل وقح ؛ مما يؤذي المتعرضة للتحرش نفسياً بشكل كبير، فقد تكره شكلها وتشعر بأن بها خطأ ما وأن مظهر جسدها هو السبب فيما تتعرض له. وهناك أيضًا التحرش البصري بأن يتعمد المتحرش أن يجعل الفتاة ترى شيئًا يزعجها أو شيئاً خادشًا للحياء، أو ينظر لها بطريقة غير لائقة. وهناك التحرش الجنسي أو الملموس، أي أن يقوم المتحرش بلمس الفتاة أو المرأة متعمدًا ، اعتقاداً منه أن الأمر قد يروقها أو أنها قد لا تمانع حدوثه. وقد يؤدي إلى آثار سيئة، منها انزواء الفتاة في المنزل وهروبها من كل ما يؤدي إلى تعرضها للتحرش، ويجعلها تكره المجتمع الذي عرضها لهذا الامتهان.

تعددت الأسباب

يرجع التحرش لأسباب عدة؛ منها عدم حضور الوازع الديني، وعدم وجود دليل أو شواهد على ارتكاب مثل هذه الأمور، فبالتالي فإن المتحرش لا يخاف من شيء ولا يخشى العقاب، وقد يظن المتحرش أن جسد الفتاة التي أمامه هو ملك له، أو يفسر سكوتها الذي قد ينجم عن الخوف أو الخجل بأنه موافقة على ما يفعله، وقد يفسر أيضًا ارتداءها ملابس معينة بأنه رغبة منها في أن يقوم بالتحرش بها. وإضافة لما سبق فهناك عديد من المسببات لحدوث التحرش؛ منها الأسباب الاجتماعية، حيث قد ينتج عن تربية الذكور على أنهم سيصبحون رجالًا بدرجة تحكمهم في المرأة أو أنهم أعلى درجة من النساء. كما أن هناك بعض الاعتقادات التربوية التي تُمهد لحوادث التحرش الجنسي منها فكرة عدم خروج المرأة من بيتها، وأن نزولها للشارع بمثابة دعوة منها للتحرش بها. ومع الأسف فقد أسهمت الدعوة المتمركزة على المرأة، ولباسها، وعطرها، ومشيتها، في نشر هذه الفكرة السلبية التي تُحمِّل المرأة والفتاة عبء التحرش بها. وقد ينجم التحرش أيضاً عن تربية النساء على أنهن مخلوقات لخدمة الرجل وأنهن أضعف وأقل منزلةً منه ؛ مما يجعلها تغض النظر عن الكثير من الإساءات الجنسية واللفظية، وتخشى الإبلاغ عن حوادث التحرش التي تتعرض لها. كما يزداد التحرش حدة نتيجة غياب دور الوالدين وإهمال تربية الأبناء تربية سليمة وعدم مراعاتهما للمسؤولية التي كلفهم الشرع بها.

وقد ينجم التحرش أيضاً عن أسباب مرضية؛ مثل الاضطرابات والمشكلات النفسيّة التي تدفع المتحرش إلى جريمته؛ مثل تقديره المتدني لذاته. فقد يكون المتحرش مر بتجارب أليمة في طفولته، مثل المشكلات الأسرية، أو بسبب تعرضه للتحرش أو للاغتصاب، ويكون رد فعله لمعالجة نفسه أو التخفيف من توتره هو الثأر من الآخرين عن طريق التحرش بهم أو اغتصابهم.

كما أن غياب القوانين الرادعة للتحرش، تزيد من نسبة وقوعه وكذلك عدم تفعيل تطبيق هذه القوانين. كما أن عدم توعية العامة بعقوبات التحرش في حالة وجودها يعمل على استمرار الجريمة، فمن الجائز جدًا أن يجهل المعتدي وجود عقوبة من الأساس. كما أن التساهل من قِبل الضحية وأسرتها والمجتمع يساعد على استمرار التحرش.

ضحايا للتحرش من الأطفال

تُعد قضية التحرش بالأطفال من القضايا التي تم تسليط الضوء عليها في الفترات الأخيرة، لما لها من أهمية في حياة الأفراد، ونفسيتهم؛ ولهذا لا بد من حماية أبنائنا من التعرض للتحرش الجنسي، وإذا حدث أن تعرض الطفل لهذا الأمر، فلا بد من إيجاد طرق العلاج الفعالة، التي تساعد على التخلص من آثار التحرش، وأن نقدم للطفل التوعية اللازمة، حتى لا يتعرض له مرة أخرى.

ويتم التحرش الجنسي بالأطفال عن طريق سيطرة المتحرش على الطفل لإشباع رغباته الجنسية، سواء عن طريق لمسه أم حمله وإجباره على لمس المتحرش. أو إجباره على ممارسة الجنس من خلال إثاره الخوف والرعب لديه، وإرهابه حتى يخضع له. وقد يحدث التحرش في شكل اعتداء بصري بإجبار الطفل أحياناً على مشاهدة الصور الجنسية والأفلام المثيرة أو تجريده من ملابسه، أو إجباره على رؤية مشاهد غير لائقة. وقد يحدث أيضاً في صورة اعتداء شفهي من خلال الكلمات الجنسية الفاضحة، التي يتم توجيهها إلى الطفل.

آثار تعرض الطفل للتحرش

لمعرفة ما إذا كان الطفل قد تعرض للتحرش الجنسي أم لا، قد تظهر عدة علامات وآثار على الطفل المتحرش به جنسيًا، منها بعض الآثار النفسية، مثل انعزاله، أو شعوره بالاكتئاب، أو ميله للعنف وللعدوان، أو وجود صعوبة في النوم. وقد ينتاب الطفل الشعور بالكره تجاه المتحرش، أي ينفر من مقابلته أو الوجود معه في المكان نفسه، ويقل تركيزه، ويتأخر دراسياً. وقد يعاني الطفل

يجب احتواء الطفل الضحية وغمره بالحنان ومنحه الطاقة الإيجابية

أحياناً النشاط الجنسي الزائد تقليداً للمتحرش. وقد يفقد الطفل ثقته بنفسه، ويشعر بعدم الأمان في المجتمع، ولا يتقبل أعضاءه التناسلية، ويرفضها تمامًا، ويشعر بالكره تجاهها بشكل عام. كما يشعر الطفل بأنه شديد العجز، وفاشل في حتى أن يدافع عن نفسه ضد المتحرش. وقد يعاني الطفل اضطرابات سلوكية، مثل قضم الأظفار، أو السرقة، أو التحرش بالآخرين.

كما يعاني الطفل الكثير من الأضرار الجسدية عقب عمليات التحرش، مثل عدم قدرته على الجلوس، أو المشي، وقد يصاب بالتبول اللاإرادي، وقد يحدث له الكثير من الأوجاع في الأعضاء التناسلية.

وبشكل عام فالتحرش يعد كارثة في حياة الطفل النفسية والجسدية، قد يتسبب في تدميره نفسياً، وانطوائه على نفسه، وكرهه للناس.

علاج الطفل من آثار التحرش

يجب أن يتم علاج الطفل عضوياً ونفسياً واجتماعياً، حيث يجب في البداية زيارة الطبيب، لمعرفة ما إن كان قد أصاب أعضاءه التناسلية ضرر أو مشكلات، من أجل علاجها. كما يجب احتواء الطفل وغمره بالعطف والحنان، وإشعاره بالأمان، ومنحه الطاقة الإيجابية. كما يجب تجنب

الخوف البالغ على الطفل، والتشديد عليه، وكبت حريته، ومعاملته بطريقة مشددة، فذلك يشعره بالضعف، وقد ينتابه الشعور بأنه هو المذنب فيما حدث له وأنه يُعاقب عليه، بل يجب تشجيعه على الاندماج أكثر مع المجتمع وعلى الانشغال بشيء مفيد، مثل ممارسة الرياضة، حتى يشغل عقله بأشياء جديدة تنسيه التجربة السيئة التي مر بها.

كما يجب عقاب المتحرش بالشكل القانوني، وعدم تجنب ذلك خوفاً من نظرة المجتمع للطفل أو تجنب الفضيحة. كما يجب أن يعرف الطفل الضحية بذلك، حتى يشعر بالأمان عندما يعرف أنه نال جزاء إساءته له. وهنا تظهر أهمية دور الأسرة في تشجيع الطفل على البوح بما حدث له، حتى لا يتمادى المتحرش في انتهاكاته للطفل. كما يجب أن تكون الأسرة ملمة بالتربية الجنسية السليمة للطفل، حتى يمكنها توعيته وحمايته، وحتى لا يكون معرضًا بشكل كبير للتحرش الجنسي.

حماية ووقاية

تعرض الطفل للتحرش يسبب له الكثير من الآثار السلبية نفسياً وعضوياً واجتماعياً، ورغم التدخل بالعلاج المناسب مع الطفل ؛ فقد تظل هذه الآثار السلبية راسخة في شخصيته مما يؤثر فيه بشكل كبير مستقبلاً. لذا لا بد من التصدي لظاهرة التحرش قبل حدوثها لحماية الطفل من التعرض لمثل هذه التجربة الأليمة، ويمكن أن يتم هذا من خلال ما يأتي:

. أن يعرف الطفل معنى خصوصية جسمه، وأنه يجب أن يحافظ عليه، وأن هناك مناطق في الجسم يجب عدم إظهارها للآخرين وأن يتم تغطيتها بالملابس.

. تسمية الأعضاء الخاصة بأسمائها الحقيقية، مما يساعده على تقبل جسده، وعدم الخجل من هذه الأعضاء، وإخبار الوالدين إذا تعرض لأي خطر من الأخطار، ويجب أن تهتم الأم بالتثقيف الجنسي للطفل، من خلال الإجابة عن التساؤلات التي يطرحها.

. تعليم الطفل الفرق بين اللمسة الآمنة واللمسة غير الآمنة؛ فالأولى تكون خلال تنظيفه، أو مساعدته على ارتداء الملابس، وتكون بمصافحة الأقارب بشكل مناسب. أما غير الآمنة فهي التي تؤدي إلى شعور الطفل بالخجل، والخوف، وعدم الراحة، مثل التقبيل أو الضرب في المواضع لجنسية للطفل.

. حفاظ الطفل على سلامته من الغرباء، وألا يأخذ شيئًا من أحد لا يعرفه، ولا يتحدث مع الغرباء، ولا يرد على أسئلتهم. وضرورة البقاء في مجموعات، وبخاصة عندما يكون في أماكن بعيدة عن المنزل مثل المدرسة، أو النادي.

حماية المجتمع من التحرش

ولحماية المجتمع من التحرش من الواجب أن يزرع الآباء الحياء في الأبناء، وضرورة التفاهم مع الأطفال، والنصح والإرشاد وسماع آرائهم ومشكلاتهم، وعدم الثقة بالآخرين بشكل مفرط ؛ ما قد يتسبب في تعرض الكثير من الأطفال للتحرش الجنسي من خلال الأشخاص الموثوق بهم. كما يجب زرع الثقة في نفس الطفل حتى يتخطى أي محنة يتعرض لها. وتربية الأبناء على نبذ العنف وعلى خصوصية أجسامهم. ولا يجوز ترك الطفل مع الأغراب، أو الأقارب، ومتابعته في أي مكان يُترك به، وإشعار الطفل بالتقارب بينه وبين والديه وأسرته، وكذلك مده بالثقافة الجنسية اللازمة، التي تحميه من التعرض للتحرش الجنسي.

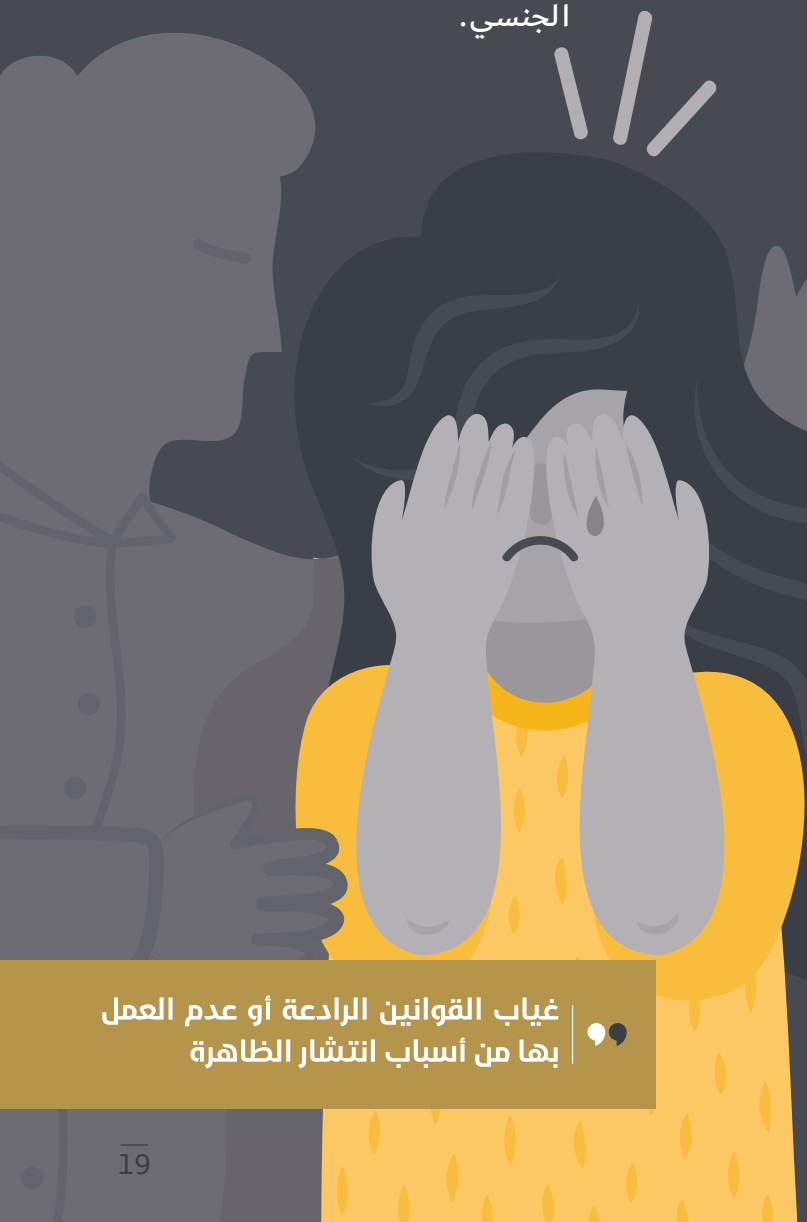

> غياب القوانين الرادعة أو عدم العمل بها من أسباب انتشار الظاهرة

اضطراب الهوية الجنسية للأطفال

رحـــــــــلة معقّدة بين الـــــذات والـــــــمجتمع!

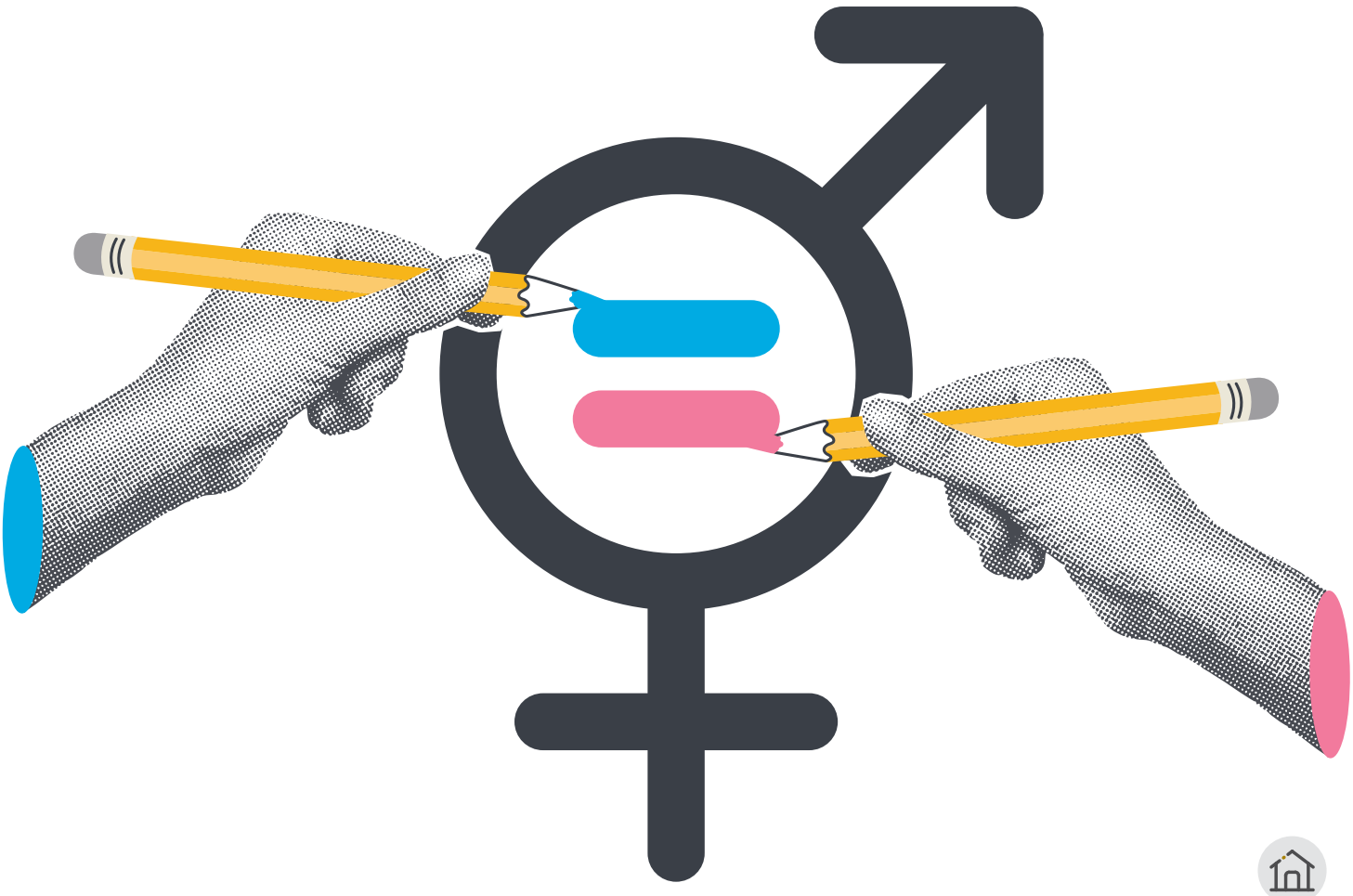

أ.م.د. هبة إسماعيل
أستاذ علم نفس الطفل المساعد - كلية التربية للطفولة المبكرة بجامعة القاهرة - مصر

> يبدأ اضطراب الهوية الجنسية في مرحلة الطفولة المبكرة

جنس الطفل أمر له أهميته؛ فنحن دائمًا نتساءل: هل الوليد سيكون ذكراً أم أنثي؟ كذلك تختلف معاملتنا للمولود وفقاً لجنسه، إذ نُلبس الذكور ملابس يغلب عليها ألوان معينة ونسميهم بأسماء تدل على القوة، أما الإناث فنطلق عليهن أسماء رقيقة تنبئ عن الحسن، فمثل هذه الأمور قد لا يترتب عليها أي فرق بالنسبة إلى الولد أو البنت في بادئ الأمر، لكن لا يمضي وقت قصير حتى يشعر الأطفال أنفسهم بأن هناك فرقاً بين الولد والبنت، فيتعلم كل منهم أن هناك أموراً معينة يتوقع منهم مراعاتها بوصفهم ذكوراً أو إناثاً.. هنا تجد روح ذكورتك أو أنوثتك شيئاً مدفوناً في أعماق شخصيتك وهي ما يُطلق عليها اسم «الهوية الجنسية».

تُعد الهوية الجنسية بمثابة ظاهرة سيكولوجية متعلقة بالسلوكيات المرتبطة بالجنس. ولعملية التنشئة الاجتماعية دور مهم في ذلك الأمر، فقد لا يكون من السهل مواجهة فكرة أن تصرفاتنا أو معتقداتنا قد تؤثر في مشاعر أطفالنا بشكل أعمق مما نتوقع. في بعض الحالات، نجد الآباء يكافئون السلوك الذي يرونه مناسباً لجنس طفلهم ويعاقبون الاستجابات التي يرونها غير مناسبة، وعلى النقيض نجد من الآباء من يبالغ في إقامة الفروق بين سلوك البنت والولد، فيضعون حدوداً شديدة بين نشاط الذكر ونشاط الأنثى. مثل هذا التعنت يجعل من المتعذر على الصغار أن يعيشوا أفراداً صالحين ينتمون إلى أحد الجنسين. وعلى الجانب الآخر قد نجد بعض الآباء يشجعون بناتهم على أن يرتدين ملابس البنين وأن يلعبن مثلهم، كما قد يترك شعر الولد مرسلاً ويرتدي ملابس البنات ويُمنعون من اللعب مع غيرهم من الصبية، هنا ينمو لديهم شعور بالضيق، وضعف الثقة بالنفس عند وجودهم مع أفراد من جنسهم، مع شعور بعدم الانسجام مع الجنس الذي وُلدوا به، وشعورهم بانتمائهم إلى الجنس الآخر، وهذا ما يطلق عليه **«اضطراب الهوية الجنسية»**، الذي ينشأ لدى الطفل نتيجة للضغوط النفسية أو التوقعات العالية التي قد نضعها من دون أن ندرك، هنا يشعر الطفل بصراع داخلي بين رغبته في إرضاء من حوله واكتشاف هويته الحقيقية.

الهوية الجنسية المضطربة تؤدي إلى إثارة مشكلات قد تكون مؤثرة ومهمة تعترض وتعطل نشأة الشعور بالنفس والرضا عنها؛ ما يعرض الطفل للوقوع في مشكلات وصراعات وأزمات تحد من عواطفه ومشاعره النفسية في المستقبل. كما أن هؤلاء الأطفال قد يتعرضون لتجارب مؤلمة في حد ذاتها، كتعرض الطفل للسخرية وعدم القبول من قبل الأقران والمعلمين.

المستقبل امتداد للماضي

في البداية، يجب أن نتحدث عن أن تحقيق الهوية الجنسية هو أن يحدد الفرد مَن يكون، وما سيكون، بحيث يكون المستقبل المتوقع منه هو امتداد واستمرار لخبرات الماضي، وخبرات الماضي متصلة بخبرات الحاضر ؛ لذا فإن تحديد الهوية الجنسية يرتبط بتحديد نوع الجنس الذي ينتمي إليه الفرد، ذكراً أو أنثي، وتتحدد سلوكياته المستقبلية في ضوء امتداد خبرات الماضي والحاضر؛ لذا فإن اضطراب الهوية الجنسية أو عدم تحديدها يرتبط بخبرات الفرد وأنماط سلوكه الماضية.

يتلخص اضطراب الهوية الجنسية في رفض الطفل لجنسه، وعدم قبوله، وتعريف نفسه بأنه من الجنس الآخر؛ فبدلاً من أن يقوم الطفل الذكر بدور وسلوك يتفق مع تكوينه، نجد لديه شعوراً دائماً بعدم الارتياح، وعدم القبول لدوره، وشكله الخارجي الذي يراه الناس، ويعتبر نفسه أحد أفراد الجنس الآخر رغم أن الجميع يتعرفون إليه بأنه من الذكور، كل الدلائل تشير إلى ذلك، ويحدث العكس بالنسبة إلى الأنثى.

بداية الاضطراب ومساره:

يتم التعرف إلى جنس المولود، سواء كان ذكراً أو أنثى، وفقاً لأعضائه التناسلية لحظة ميلاده، ويختار الوالدان اسماً مناسباً لنوع المولود، ويتمنون أن يسلك مسلك الأولاد أو البنات، كل هذا تبعاً لما يتوقعه المجتمع لهذا الأمر، وسرعان ما يكتسب الأطفال السلوكيات المناسبة لجنسهم التي يتوقعها المحيطون بهم. ويتم إرساء أساسيات الهوية الجنسية، ويبدأ تشكلها في العام الثالث من العمر، ويتم تثبيت تلك الهوية على نحو نسبي بعد ذلك، فالولد والبنت يبدآن بهوية جنسية أنثوية، ولكون الأم أنثى ترتبط بها البنت أكثر من الولد، وتندفع معها، ويبتعد الولد لأنه يختلف عن البنت، وتتجه البنت لإنشاء علاقات مع الآخرين؛ ما يجعلها أكثر استعداداً لأن تصبح أماً، ويتجه الولد نحو تكوين هوية جنسية ذكرية. ولو عامل الوالدان نجلهم على الدوام على أنه ولد أو على أنه بنت فسوف يتقمص هوية جنسية ثابتة، ولو تم تأجيل هذا القرار سيعاني الطفل من اضطرابات في الهوية الجنسية، ولن يكون راضياً عن جنسه، سواء كان ذكراً أو أنثى.

ويبدأ اضطراب الهوية الجنسية عادة في أثناء مرحلة الطفولة المبكرة قبيل سن الرابعة وحتى السابعة من العمر. الأساس في تشخيص هذا الاضطراب أن يحدث قبل سن البلوغ، ويُعد اضطراب الهوية الجنسية لدى الأطفال منتشراً إلى حد ما، ويكثر في العيادات النفسية بين الأولاد عنه بين الإناث. ولكن يصبح تشخيص الحالة لدى الإناث أصعب منها لدى الذكور، ربما لعوامل استنكار المجتمع لتخنّث الولد، وتحمّله خشونة البنت، وغالباً ما ينظر إلى خشونة البنت نظرة تقترب من الطبيعة.

الاضطراب ومظاهره:

يتجلى الاضطراب في التوحد مع الجنس الآخر من خلال عدة مظاهر؛ منها تعبير الطفل عن رغبته المتكررة وإصراره على أنه (هو/هي) من الجنس الآخر. كما تظهر في تفضيل الأولاد الذكور لملابس الإناث أو محاكاتهم، وتقليدهم للزينة ولدى الفتيات يكون الإصرار على لبس الملابس الذكرية النمطية. كذلك

تفضيل قوي ومستمر لأدوار الجنس الآخر في ألعاب الأطفال، ووجود تخيلات مستمرة بأن الفرد من الجنس الآخر. كذلك الرغبة الشديدة في المشاركة في الألعاب النمطية المميزة للجنس الآخر، وقضاء أوقات الفراغ في أنشطة خاصة بالجنس الآخر. كما تظهر في التفضيل القوي لرفاق اللعب مع الجنس الآخر؛ فالبنات المصابات بهذا الاضطراب لهن رفاق من الأولاد، ويفضلن ممارسه الرياضة الخشنة، ولا يُظهرن اهتماماً باللعب بالعرائس (الدمى) ويلعبن دور الرجل في لعب الأطفال.

أما الأولاد المصابون بهذا الاضطراب فهم عادة منشغلون بأنشطة وأفعال الإناث التي يقمن بها في حياتهن اليومية، ويفضلن ملابسهن، ولديهم الرغبة في مشاركة البنات لعبهن، ودمى الإناث هي المفضلة لديهم في اللعب. وعند اختيار دور في الأسرة في أثناء اللعب التمثيلي يختار الطفل دور فتاة، كما يتجنب اللعب الخشن القائم على العنف، ويرفض اللعب مع مجموعه الذكور.

كما يمكن أن يشبه المظهر الجسمي للطفل مظهر الجنس الآخر شبهًا وثيقًا؛ فمثلاً تكون البنت ذات مظهر يجعل الآخرين يحسبونها ولداً في طفولتها المبكرة، أو أن يكون للولد ملامح ناعمة، جذابة، وأن تظهر لديه مظاهر الجنس الآخر في تعبيرات الوجه، والإشارات، والصوت، وأن يجد الطفل صعوبة في إخفاء هذه التصرفات حتى لو واجه النقد الاجتماعي الشديد. كما يمكن أن يعبر الولد عن تفضيله للجنس الآخر ورغبته في أن يكون بنتاً بالقول؛ مثل «أنا بنت» «أرغب عندما أكبر أن أصبح أماً».

ما الأسباب؟

ربما يتبادر إلى الأذهان سؤال: ما الأسباب التي تؤدي إلى إحداث اضطراب الهوية الجنسية؟ قد تبين أنه من الصعب إيجاد سبب واضح له، بل تكون الأسباب عادة كثيرة، كما نجد ارتباطًا بينها؛ فلا مناص أمامنا – إذاً - من استعراض مجمل العوامل التي يُتوقع أن تؤثر في ظهور الاضطراب الذي يعزى في المقام **الأول إلى عدة عوامل:**

العوامل البيولوجية: يعتقد أنه خلال الفترة من الحمل يتطور دماغ الجنين في اتجاه الذكور من خلال العمل المباشر من هرمون التستوستيرون على تطوير الخلايا العصبية، أو في الاتجاه الأنثوي من خلال عدم وجود هذه الطفرة الهرمونية، ووفقاً لهذا المفهوم تتبرمج هويتنا الجنسية بأننا لا نزال في الرحم، فالتمايز الجنسي للأعضاء التناسلية يحدث في أول شهرين من الحمل، والتمايز الجنسي للدماغ يبدأ في النصف الثاني من الحمل، يمكن لهاتين العمليتين أن تتأثرا بشكل مستقل؛ ما يؤدي إلى تغيير الجنس.

وقد وضع العلماء روابط بين تأثيرات الهرمونات التي تفرزها المرأة قبل الولادة وتكوين الهوية الجنسية؛ حيث تؤدي اضطرابات الغدد الصماء إلى ارتفاع نسبة هرمون التستوستيرون أو الأستروجين، ويتسبب هذا في إضفاء صفات الذكورة على جنين مؤنث أو العكس، كذلك فإن إعطاء الأم هرمونات غير ملائمة في أثناء فترة الحمل وقبل الولادة قد تكون سبباً في حدوث هذا الاضطراب، فمثلاً طفل ذو أعضاء تناسلية ذكرية قد يحمل كروموسومات، وغدداً، وهرمونات أنثوية، أو طفلة ذات أعضاء تناسلية أنثوية قد تحمل كروموسومات، وغدداً، وهرمونات ذكرية.

العوامل النفسية هناك ثلاثة مفاهيم أساسية نفسية تكون بمثابة القاعدة

> الأولاد يقلدون البنات في التزين.. والبنات يلبسن ملابس الأولاد!

الأساسية لدراسة اضطراب الهوية الجنسية.

المفهوم الأول وهو التنميط الجنسي، ويكون بمثابة المعتقدات السائدة عن الذكور والإناث، وهو العملية التي يكتسب من خلالها الفرد القيم، والاتجاهات، والمعتقدات وأنماط السلوك المناسبة للجنس الذي ينتمي إليه».

أما **المفهوم الثاني** فهو الأدوار الخاصة بالنوعين، أو ما يسمى «الدور الجنسي»، وفيه يتعلم الأطفال أن العالم مقسم إلى ذكور وإناث، وأن هناك أدواراً محددة للذكور تختلف عن أدوار الإناث.

أما **المفهوم الثالث** وهو التوحد، فيبدأ في فترة ما قبل المدرسة من سن الثالثة حتى السادسة، وفيها تتميز هذه المرحلة بنمو وعي الطفل بالاستقلال، وتتغير علاقته بوالديه، ولا يوجد نمط أو وقت يمكن توقعه لهذه التغيرات، لكنها تحدث نتيجة محاولة الطفل أن يكتشف المزيد عن مدى اختلافه عن والديه، وقد يكرس الكثير من طاقاته ليكتشف كيف يصبح ملك نفسه، فقد يجرب غالباً كونه شخصاً يشبه والديه فقط بمحاكاة ما يفعلانه، فيقيس ملابس أبيه، يعمل داخل المنزل ويتحدث بنبرة صوته أو يمثل دور الأب في لعبة خيالية مع رفقاء لعبه. وفي بعض الأحيان يظهر الطفل تفضيلاً لأحد والديه عن الآخر، فمن المحتمل أن يتشبث بوالدته ويبتعد عن والده، أو يُحتمل أن يتصرف كما لو كانت والدته مواطنة في المرتبة الثانية مقارنةً بوالده، فهي الوجه الخفي للنوع، وتتعلق بإدراك الذات بشكل نسبي، سواء كانت ميزاته تميل نحو الذكورة أو الأنوثة.

العوامل البيئية والاجتماعية: ولها من دور كبير في تحديد الهوية الجنسية واضطرابها، فكل من التنشئة الاجتماعية والمناخ الثقافي يسهم في خلق العديد من صور الاضطرابات النفسية والسلوكية؛ فمثلاً لنفترض أن هناك صبياً صغيراً تبدو عليه بعض مظاهر الأنوثة والنعومة، هذا الصبي قد سمع أشخاصاً في البيئة المحيطة به يصفونه بأنه أنثى أو شكل الأنثى، هذا الكلام سوف يجعله منتبهاً إلى البنات، ومن ثم يميل إلى تقليدهن، إضافة إلى العديد من العوامل الاجتماعية التي تساعد على تطور هذا الاضطراب.

أساليب العلاج

غالباً ما يقوم أولياء أمور الأطفال الذين يعانون اضطرابًا في الهوية الجنسية بعرضهم على اختصاصي نفسي، فيحاول علاج حالة عدم انسجام الطفل مع الجنس الذي ولد به ووضع حد للعلاقات المتوترة السائدة مع والديه وأقرانه. ومن أهم ما يقوم به المعالج النفسي هو إتمام عملية التوافق بين الهوية الجنسية وجنس الطفل الفعلي، والتي يجب أن تكون ملائمة للبيئة والتنشئة والثقافة، وذلك من خلال العلاج الإكلينيكي، وإعادة تأسيس وبناء هذه الهوية الجنسية الحقيقية. ويمكن أن يقام البرنامج العلاجي بناء على مجموعة من الأسس المهمة، التي قد تسهم في علاج اضطراب الهوية الجنسية عند الأطفال.

علاقة أوثق

يجب تطوير علاقة أوثق مع الوالد من الجنس ذاته؛ لكي ينمو التوحد المناسب لدى الطفل، فعلى الوالد من الجنس ذاته أن يقضي وقتاً أطول مع الطفل، وأن يقدم نموذجاً للتصرفات المناسبة. يحتاج الطفل والوالد إلى أن يقضيا ساعة أو ساعتين في الأسبوع معاً بمفردهما، وأن يقوما بنشاطات مشتركة يميلان إليها، مثل الألعاب الرياضية. وإذا لم يكن الأب من الجنس ذاته موجوداً لسبب ما، ينبغي البحث عن نموذج

> احذري.. تناولك هرمونات غير ملائمة في فترة الحمل تسبب اضطراب المولود جنسياً

دور بديل من بين الأقارب أو الأصدقاء أو المعلمين، ليقوم بدور النموذج. كما يجب على الآباء أن يكونوا متيقظين لضرورة تطمين الولد الصغير بأنهم «سعداء لأنه ولد» وتطمين البنت الصغيرة بأنهم «سعداء لأنها بنت».

تواصل مفتوح ومستمر

على الآباء تشجيع أطفالهم على التعبير عن مشاعرهم وأفكارهم بحرية من دون خوف من الأحكام، مع تجنب النقد أو السخرية والاستماع إلى الطفل بجدية وتعاطف من دون مقاطعة، والسؤال عن مشاعره بطريقة تدعمه وتساعده على الثقة بالنفس.

تعزيز سلوك النمط الجنسي المناسب

ينبغي على الوالدين أن يمتدحا الطفل ويشجعاه في كل مرة يقوم فيها بسلوك مناسب لجنسه، وينبغي أن تستخدم في الثناء التعبيرات الذكرية أو الأنثوية المناسبة لجنسه، فمثلاً: يقال للولد «إنك ولد ممتاز.... سوف تصبح رجلاً قوياً عندما تكبر». كما يمكن للوالدين أيضاً أن يضعا نظاماً للنقاط، كأن يضعا للولد خمس نقاط على لوحة خاصة عندما يتصرف تصرفاً ذكرياً، كأن يلعب بألعاب الأولاد، ويمكن أن يقوم أن يستبدل بشيءٍ يحبه أو نشاطات يحبها عددًا معينًا من النقاط. وبعد أسابيع قليلة من تطبيق هذا الأسلوب، يمكن للوالدين أن يضيفا شرطاً جديداً، فإضافة إلى اكتساب النقاط تبعاً للسلوك الذكري سوف تكون هناك غرامات على السلوك الأنثوي، وبهذه الطريقة يمكن تخفيض السلوك الأنثوي لدى الأولاد تدريجياً، وكذلك الأمر بالنسبة إلى البنات.

التعبير عن عدم الرضا

ينبغي أن يتم التعبير بوضوح عن استهجان السلوك غير المناسب للجنس، كما على الوالدين إعطاء الطفل معلومات محددة حول ما يُعد ميولاً أنثوية أو ذكورية.

الإبدال: يمكن اقتراح نشاطات بديلة للتعويض عن الميول الأنثوية عند الولد، أو الميول الذكورية عند البنت.

كذلك توجيه الوالدين لتصحيح دورهما في السلوك الذي ينتهجانه مع الطفل. وعرض الطفل على طبيب مختص لتأكيد هوية الطفل وإقناعه بنوع جنسه.

وفي النهاية يجب أن يتماشى البرنامج العلاجي مع رغبات الوالدين، والأعراف الاجتماعية السائدة، والتوقعات الثقافية للمجتمع الذي تعيش العائلة في كنفه ووجهات نظر مختصين آخرين كالأطباء.

عوامل تؤدي إلى إحداث اضطراب الهوية الجنسية

ملف العدد

الطفل والحرب

- العنف المسلح.. انتهاك للطفولة و«تفخيخ» للحاضر والمستقبل
- كيف نحمي الأطفال في زمن الصراعات المسلحة؟
- رؤية سيكولوجية للأطفال في الحروب .. أطفال فلسطين أنموذجاً
- كل ما يراه الطفل قد يُنسى إلا ويلات الحروب

العنف المسلح.. انتهاك للطفولة و«تفخيخ» للحاضر والمستقبل!

السفيرة الدكتورة داليا سليمان
كاتبة وباحثة - مصر

يمكن أن يكون العنف المسلح مشروعاً حين يكون دفاعاً عن النفس إذا لم يكن ثمة أسلوب آخر للسلامة من العدوان، وأن يقع العنف على المعتدي دون غيره من الناس، وألا يتسبب الدفاع بالعنف المسلح في إحداث فتنة، أو في الإخلال بالنظام العام لحياة المجتمع. وهناك تقارير أممية وحقوقية تلقي الضوء على حقائق مروعة لأثر العنف المسلح في الأطفال.

الدولة تنوب عن الأفراد في عقاب من يخلّون بقواعد القانون والنظام والآداب العامة

إن العنف المسلح في المجتمع الحديث يؤدي إلى قتل وجرح أشخاص أبرياء لا علاقة لهم بالخصم المستهدف، وهذا العنف يحدث لأسباب عدة؛ منها: تكوين المناطق السكنية والمؤسسات العامة التي تقتضي تجمع عدد كبير من السكان في بقعة صغيرة، وبسبب طبيعة الآلات الحديثة والتجهيزات المنزلية والعامة، وبسبب الطبيعة الفتاكة للسلاح الحديث وتأثيره الواسع النطاق؛ قد يكون أعداد القتلى والجرحى بالمئات والآلاف، وتكون الخسائر المالية بالمليارات. كما يؤدي العنف المسلح إلى تدمير المرافق العامة للمجتمع، وتهجير الأهالي من مساكنهم وفقدانهم مصادر رزقهم وإتلاف أموالهم، ووهن سياسي ومعنوي للمجتمع. ويعد كل ذلك من أعظم المحرمات الشرعية التي حرمها كل من الكتاب والسنة والإجماع.

هناك أيضاً عنف مسلح يتميز في الثأر الذي يعد نوعاً من الانتقام الذي تنظمه أعراف محلية ترتبط ببُنًى اجتماعية قبلية أو قرابية، وتهدف الأسر الثأرية منه إلى رد اعتبار القبيلة أو العائلة أو المجموعة العشائرية، وكأن الثأر يرد لها كرامتها ويحافظ على صورتها الذهنية لدى كل المواطنين؛ وبالتالي يترك آثاراً سلبية مثل الفزع وانعدام الأمن المجتمعي بين الناس والأطفال، بل يمكن أن يقطع صلتهم بالحياة العامة والنظام المدني الذي يحكمه القانون.

فلسفة العقاب

إن المتتبع للتاريخ القانوني يشهد أن الأصل في نشأة المجتمعات الحديثة يقوم على فلسفة رئيسة؛ وهي أن الدولة تنوب عن الأفراد في تنفيذ العقاب على كل من تسول له نفسه الإخلال بقواعد القانون والنظام والآداب العامة في المجتمع، وإرساء ما يُعرف بمبدأ «سيادة القانون» وسيادة الدولة على كل المواطنين، والتخلي عن صور العقاب الفردي التي تقوم على العادات والتقاليد والنزاعات الشخصية لأصحابها.

وقضية «الثأر» تعد من أسوأ المعتقدات والتقاليد التي ترفع من نسب جرائم القتل التي تتسبب في تيتّم العديد من الأطفال الذين يفقدون آباءهم؛ وبالتالي يعيشون حياة ملؤها الرعب والخوف وربما الإجرام، وهي معتقدات بالية وسلبية تأصلت منذ زمن قديم، وظلت تنتقل من جيل إلى جيل حتى أصبح الأخذ بالثأر من أقوى التقاليد سلطاناً، ويحظى بالتقديس من الأسر الثأرية من دون حاجة للمناقشة أو إخضاعه للمنطق رغم كل مساوئه أو آثاره السلبية. ومن الجدير بالذكر أن هذه المعتقدات

الاستغلال الجنسي للأطفال «حيلة دفاعية» في مناطق العنف المسلح!

ترسخت عند بعض الأسر، حتى أصبح من الأيسر عليهم ارتكاب الجريمة التي يجرمها المشرع احترامًا للتقاليد التي تقضي بارتكابها.

ويأتي الثأر على قمة الأعراف الاجتماعية، ويؤثر في الأمن الأسري والطفولي والمجتمعي، إذ إنه يتخذ من الفقر والجهل أرضاً خصبة للاستمرار والبقاء، ترعاه البيئة المنغلقة على ذاتها، فحاز رضا من يؤمنون به، واعتبروه مكوناً من مكونات الكرامة، ودافعاً من دوافع البقاء. وقد رسخ من هذا ارتفاع نسبة الأمية وسيطرة الأعراف التي تخالف الطبيعة البشرية، كما هيأت الطبيعة الجبلية والزراعية المناخ أمام الجناة ليواصلوا وجودهم وممارسة نشاطهم، ولكن مع اهتمام السلطات بالتنمية والتقدم في كل القطاعات يبقى الأمل موجوداً في اقتلاع تلك الأعراف والتقاليد المدمرة .

العنف والاستغلال الجنسي للطفل

العنف المسلح من أكبر وأهم أسباب ترك الأسر في مواقف شديدة الضعف، وإحدى آليات التكيف المستخدمة في بعض الأحيان هي زواج الأطفال، بخاصة عندما تكون موارد الأسرة شحيحة، فلا يمكن توفير الحماية من قبل الأسرة التي تزوجت فيها الطفلة. وبحسب صندوق الأمم المتحدة للسكان، ارتفعت زيجات الأطفال بسبب هذا العنف في سوريا مثلاً بنسبة أربع مرات خلال عام واحد عما كانت عليه الحال قبل النزاع. ووفقًا ليونيسف، تضاعفت زيجات الأطفال في البلدان

المضيفة للاجئين السوريين ثلاث مرات. وفي لبنان، بلغت نسبة اللاجئات السوريات اللاتي تتراوح أعمارهن بين 20 و24 سنة وتزوجن قبل بلوغهن سن الثامنة عشرة 40.5%.

وتلقي بعض التقارير الضوء على اعتبار منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا حالياً واحدة من أكثر المناطق اضطراباً في العالم؛ فهناك نزاعات وتوترات سياسية مستمرة في عدة دول منها : سوريا وفلسطين والعراق واليمن وليبيا والسودان، كما أن الاضطرابات السياسية مستمرة في بلدان أخرى.

تجنيد الأطفال لاستخدامهم في مهمات عسكرية ولوجيستية مختلفة اغتيال لبراءتهم

وتشير تقديرات يونيسيف إلى أن أكثر من 70 مليون شخص من الفئات الضعيفة، بمَن في ذلك أكثر من 32 مليون طفل، كانوا بحاجة إلى المساعدة الإنسانية، وكانت المنطقة تشكل «أكبر تركيز للاحتياجات الإنسانية في العالم». وتستمر حالات الطوارئ من المستوى الثالث في العراق وسوريا واليمن، حيث تشكل الأزمة السورية أكبر أزمة لاجئين في العالم.

تعد هذه الحالات الاستثنائية خطيرة للغاية بالنسبة إلى الأطفال الضعفاء؛ فعلى سبيل المثال يمكن استخدام العنف والاستغلال الجنسيين أسلوباً من أساليب الحرب، إضافةً إلى أنه يخلق صعوبات اقتصادية شديدة، ويحد من فرص التعليم والعمل؛ ما يعرض الأسر والأطفال الضعفاء للخطر.

إن من الصعب العثور على بيانات حول العنف الجنسي في الأزمات الإنسانية. لكن البيانات المحدودة الموجودة، التي من المحتمل أن تكون مجرد غيض من فيض، تلقي بعض الضوء على أنواع العنف الجنسي التي يعاني منها الأطفال في دول نزاعات الجماعات المسلحة بالمنطقة.. في سوريا، تم الإبلاغ عن 98 تقريراً تم التحقق منها. زعم أن 95 فتاة وثلاثة فتية تعرضوا للاغتصاب وأجبروا على الزواج بمقاتلين مسلحين، وتم الاتجار بهم واستعبادهم، أو الاعتداء عليهم.

في العراق، لم يتم التحقق من الحالات، ربما بسبب وصمة العار والخوف من الانتقام. **في ليبيا** ، لم يتم التحقق من أي حالات. **في السودان** ، تم التحقق من **68** حالة لفتيات تم استغلالهن جنسياً، بزيادة 55% مقارنة بالعام السابق. **في اليمن**، تم التحقق من تسع حالات استغلال جنسي لأطفال تتراوح أعمارهم بين 9 و17 سنة في عام 2018.

بشكل عام، هناك احتياجات حماية قصوى في المنطقة بسبب الوضع الإنساني الصعب في العديد من البلدان. وفي أعقاب ذلك، يتعرض الأطفال في بعض أجزاء الشرق الأوسط وشمال أفريقيا للعديد من المخاطر وانتهاك حقوقهم، بما في ذلك الاستغلال الجنسي .

تجنيد الأطفال

شهد المجتمع الدولي فى السنوات القليلة الماضية تناميًا غير مسبوق لظاهرة تجنيد ومشاركة الأطفال في الحروب والنزاعات الدولية وغير الدولية، والتي أخذت منحى خطيراً جراء تصاعد النزاعات، بخاصة في الدول التي تعاني اضطرابات سياسية أو عرقية كما هي الحال فى بعض دول القارة الإفريقية والآسيوية وأمريكا الجنوبية، حيث تلجأ الميليشيات المسلحة والقوات شبه العسكرية، بل بعض القوات الحكومية، إلى تجنيد الأطفال وتدريبهم لاستخدامهم في مهمات عسكرية ولوجيستية مختلفة.

على الرغم من المعاهدات والقوانين والقرارات الدولية التي تم اتخاذها لمنع وتجريم مشاركة الأطفال في النزاعات المسلحة؛ كونها جريمة تتنافى مع أبسط حقوق الإنسان الأساسية، فإنها لم تتمكن من الحد من تفشي الظاهرة التى وصفتها تقارير المنظمات الدولية بأنها «مفزعة»، ليُصبح العالم فى انتظار أجيال من الأطفال والشباب على مستوى من العنف والإرهاب أشد مما يشهده العالم اليوم.

> الأمم المتحدة متّهمة بعدم الاهتمام الموجه لحماية الأطفال

يجري تجنيد الأطفال على أيدي الجماعات الإرهابية والجماعات المتطرفة العنيفة في بلدان جميع أنحاء العالم، بخاصة في وقت النزاع المسلح؛ ما يؤدي عادةً إلى استغلال الأطفال وإيذائهم بصرف النظر عن الظروف المحيطة. وعلى الرغم من أن تجنيد الأطفال على أيدي الجماعات المسلحة له تاريخ طويل، فإن تجنيدهم على أيدي الجماعات الإرهابية والجماعات المتطرفة العنيفة يشكل ظاهرة حديثة، ويشهد تطورات ملحوظة خلال العقود الأخيرة، وصار يتسم بالتعقيد وتعدد الأوجه. ويبدو أيضاً أن الأطفال لا يجندون جنباً إلى جنب مع البالغين فحسب، بل يُستهدفون على وجه الخصوص، إذ إن استخدام الأطفال يوفر مزايا شتى للجماعات، من حيث استغلال الجماعات الإرهابية والجماعات المتطرفة العنيفة الأطفال من أجل تعزيز ظهورها.

هناك ظروف ينظر فيها المجتمع إلى الجماعات المسلحة العنيفة على أنها خط دفاعي ضد التهديدات بالعنف من جماعات مختلفة، أو من الدولة نفسها أحياناً، وفي ظل هذه الظروف قد تتوقع العائلة أو المجتمع المحلي أن ينضم الأطفال إلى صفوف الجماعة، بل قد تدفعهم العائلة نفسها إلى ذلك.

عندما توجد جماعة غير تابعة للدولة لا تتمتع بشعبية بين السكان أو حتى بدعم جغرافي واسع النطاق، قد يكون من الصعب تجنيد البالغين من أجل القضية، وفي بعض الحالات يكون تجنيد الأطفال أيسر على الجماعات المسلحة، ويكفل مواصلة توسيع قاعدة قوتها على الرغم من تناقص الدعم لها.

في بعض الحالات يتم تجنيد الأطفال قسراً، وفي حالات أخرى يقوم القصّر أنفسهم بالتسجيل لأنهم وعائلاتهم بحاجة إلى الراتب الذي يُصرف لهم من تلك الجماعات المسلحة. كما ينضم البعض لأسباب أيديولوجية، أو بسبب ولاءات عائلية وقبلية. وفي بعض الحالات يتم إرسال الأطفال إلى خارج وطنهم للقتال بوصفهم مرتزقة في صراعات أخرى.

لقد تعقدت محاولات وقف تجنيد الأطفال بسبب خليط الجماعات المسلحة العاملة في كل مناطق سوريا مثلاً؛ ففي عام 2019، وقعت قوات سوريا الديمقراطية اتفاقية مع الأمم المتحدة لإنهاء تجنيد الأطفال الذين تقل أعمارهم عن 18 عاماً، وإنشاء عدد من مكاتب حماية الأطفال في منطقتها ولكنها لم تنجح. كما أن هناك إخفاقاً واضحاً داخل منظومة الأمم المتحدة فيما يتعلق بحماية الأطفال من المشاركة فى النزاعات المسلحة؛ حيث كان تركيز المجتمع الدولي على رد الفعل للحالات التي يُستخدم فيها الأطفال جنوداً، وعلى نزع السلاح والتسريح والتأهيل وإعادة الدمج، وليس على القضاء على جريمة استخدام الجنود الأطفال، وكأنه يحاول إصلاح ضرر المتضررين بدلاً من الحماية من وقوع الضرر.

الدليل على قصور الجهود الحالية لمنظومة الأمم المتحدة في معالجة استخدام الجنود الأطفال هو نقص الاهتمام الموجه لحماية الأطفال، ومنع تجنيد واستخدام الأطفال في النزاع المسلح في اتفاقات السلام؛ فمنذ اعتماد اتفاقية حقوق الطفل في عام 1989، تم التوقيع على 180 اتفاقاً للسلام بين الأطراف المتحاربة، ومنها 10 اتفاقات فقط احتوت على أحكام بشأن المحاربين الأطفال.

ضرورة حماية الطفل

إن من حق الأطفال حمايتهم من هذه الجماعات بكل وسيلة ممكنة، وفي حالة الأطفال الذين تضرروا نتيجة تجنيدهم واستغلالهم من جانب الجماعات المسلحة أو الجماعات الإرهابية المتطرفة العنيفة، من الواجب تعويضهم بشكل من أشكال الجبر، والعمل على بذل أقصى الجهود على الجبر النفسي وإعادة التأهيل البدني والنفسي، والترضية بالعمل على محاكمة الأشخاص الذين جندوا هؤلاء الأطفال أو استغلوهم والتدابير الرامية إلى عدم التكرار؛ أي حماية الأطفال من إعادة تجنيدهم أو استغلالهم من جديد.

إن هذه الظاهرة تحولت إلى كارثة مع تنامي ظهور الجماعات الإرهابية والتنظيمات المتطرفة العنيفة ، التي يتقدمها تنظيم «داعش» فى العراق وسوريا و«القاعدة» فى أفغانستان واليمن، و«حركة الشباب» فى الصومال، و«بوكو حرام» فى نيجيريا وبعض دول غرب إفريقيا، وغيرها الكثير من الجماعات الإرهابية التي تُتقن تجنيد الأطفال من خلال برامج مثل «أشبال التنظيم» و«الأطفال المفخخة» لضمان استمرارية أفكارهم المتطرفة لأجيال متعاقبة، والاعتماد عليهم في تنفيذ هجماتهم، في ظل ازدياد الضربات الأمنية ضدهم والهزائم المتتالية التي أدت إلى تناقص أعداد المسلحين خلال السنوات الأخيرة.

هنا تجدر الإشارة إلى أن تجنيد الأطفال لا يقتصر على المناطق المنكوبة بالنزاعات المسلحة، فهناك أعداد متزايدة من الأطفال يرحلون من دولة إقامتهم إلى المناطق التي تسيطر عليها الجماعات الإرهابية والجماعات المتطرفة العنيفة بُغية الانضمام إليها، وقد يرحل هؤلاء مع أسرهم أو بمفردهم، وغالباً ما يكون من الصعب الحصول على بيانات شاملة عن مشاركتهم فى الأعمال العدائية.

أمام هذه الحقائق والأرقام الصادمة، يدق ناقوس الخطر جرّاء تعرض آلاف الأطفال لانتهاكات جسدية ونفسية من خلال عمليات العنف المسلح بكل أشكاله وفروعه، فى ظل تراخي المجتمع الدولي وعدم وجود استجابات جادة لمنع هذه الظاهرة التي تشكل انتهاكاً للقوانين الدولية. لذا ينبغي على المجتمع الدولي أن يتخذ الإجراءات اللازمة لدعم ومساندة الدول في حربها ضد الإرهاب؛ بهدف قطع الطريق على محاولات التنظيمات الإرهابية باستخدام العنف المسلح أو تجنيد الأطفال، وتشريع قوانين أكثر صرامةً لمحاسبة المسؤولين عن عمليات التجنيد تلك، مع اتخاذ تدابير ملموسة وفعالة نحو إعادة تأهيل ودمج الأطفال الجنود الذين اشتركوا في العمليات المسلحة في المجتمعات المختلفة، إلى جانب النهوض بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية التي تدفع بهؤلاء الأطفال إلى المشاركة في النزاعات المسلحة، وضرورة تكاتف جهود الأجهزة الأمنية والمؤسسات التربوية وأجهزة الإعلام لتحجيم سقوط الأطفال في أيدي المتطرفين والإرهابيين.

كيف نحمي الأطفال في زمن الصراعات المسلحة؟

د. عواطف كركيش
باحثة وكاتبة - المغرب

من بين أطفال العالم الذين يطيرون فرحاً بقطعة حلوى ودمية لطيفة، ويطلقون العنان لأحلامهم حين يسألهم الكبار: «ماذا تريدون أن تصبحوا في المستقبل؟» هناك أطفال قُتلت أحلامهم منذ نعومة أظفارهم؛ نتيجة تعرضهم لأهوال الصراعات المسلحة التي تترك آثاراً عميقة في صحتهم الجسدية والنفسية، أقلها الحرمان من أبسط الحقوق المدنية والصحية، أو الاضطرابات النفسية طويلة المدى التي تسببها الأحداث القاسية، أو انعدام الأمان والاستقرار. وتعد النزاعات المسلحة أحداثاً مدمرة تترك أثراً دائماً في المجتمعات، ويعد الأطفال من أكثر الفئات تضرراً، فالمخاطر المتعددة التي يتعرض لها الأطفال في مناطق النزاعات المسلحة والعمليات الإرهابية تُخلف آثاراً ضارة كثيرة، بخاصة في الأطفال الأبرياء حتى لو نجوا منها، فتزداد لديهم الاضطرابات السلوكية عند مقارنتهم بالأطفال العاديين، وتكون أكثر وضوحاً عند أبناء الشهداء والمصابين، ولم يكن للمتغيرات الديمُغرافية أي تأثير باستثناء مكان الإقامة، إذ كانت النتائج لصالح المدن الكبرى.

> تقديم برامج إرشادية لتعزيز الصحة النفسية مصاحبة لجهود مؤسسات الدولة

لـذا ينبغـي عمـل المزيـد مـن البرامـج الإرشـادية لتعزيـز الصحة النفسـية، مصاحبة للجهود التي تقدمها مؤسسـات الدولـة لهذه الشـريحة المهمة من أبناء مـن ضحوا بحياتهم لحمايـة الوطـن ومقدراتـه، إضافـة إلى إجراء دراسـات أخرى تسـهم في مسـاعدتهم وتعزيـز الصحـة النفسـية وجـودة الحيـاة في المجتمع.

لعـل الفقـر هو المصدر الأول لكل المعانـاة اللاحقة بالطفل المتضـرر مـن الصراعـات المسـلحة ؛ لـذا، تنعـدم المـوارد باختـلاف أشـكالها في حيـاة الطفـل منـذ سـنواته المبكـرة، إذ تتسـبب تلـك الصراعـات في نـزوح العديد من الأسـر إلى المخيمـات لمـا تتعرض له منازلهم من هـدم جراء النزاعات المسـلحة، أو اضطرارهـم إلى الفـرار حفاظـاً على حياتهـم؛ الأمـر الـذي يُفقدهم أبسـط الحقوق، مثل المـأوى الدافئ في أوقـات البـرد القـارس، والتغذيـة الصحيـة والرعايـة الطبيـة الأولية.

كمـا يعاني الأطفال المتضـررون في النزاعات المسـلحة من قلـة المـوارد الغذائيـة التي قـد يصعب وصولهـا إلى مناطق النزاعـات؛ مـا يـؤدي إلى إصابـة الأطفـال بسـوء التغذيـة وضعـف المناعـة وهشاشـة العظـام، وغيرها مـن الأمراض التـي تُضعـف صحـة الأطفـال العامة في مناطـق النزاعات، وتعرضهـم لمتاعـب صحيـة مسـتقبلية مـع تقـدّم العمر. يتجلى أثـر النزاعـات المسـلحة في الطفـل في الحرمان من فرص التعليم، حيث تؤدي إلى تشـريد العديد من العائلات مـن مناطـق سـكنهم، وقـد لا يسـتطيعون تحمـل الكلفـة

> إنشاء بيئة آمنة يشعر فيها الطفل بحب غير مقترن بقيد أو شرط

المادية لإعادة بناء نظام حياتهم في مكان جديد بسهولة؛ الأمر الذي يؤدّي إلى حرمان الأطفال من متابعة الدراسة بصورة طبيعية، والحصول على الفرص التعليمية الجيدة، والفرص الوظيفية الجيدة في المستقبل.

أهمية تماسك الأسرة

ربما يتساءل أحد في نفسه: كيف يدرك الطفل الأحداث الصادمة التي يتعرض لها من النزاعات المسلحة؟ الإجابة بسيطة، على الشخص أن يعود بذاكرته إلى زمن بعيد، عندما كان طفلاً صغيراً يعيش في عالم الكبار «الخارقين» وكان يؤمن بأنهم خارقون. زمن كانت كل الأشياء العادية تبدو كبيرة وغير مفهومة، زمن كان يؤمن فيه بوالديه، وأنهما من الأبطال الخارقين، يمتلكان كثيراً من القدرات والصلاحيات، زمن كان هو فيه طفلاً مدللاً يطلب من والديه الحماية، وكل ما يشتهي ويخطر على باله.. هل تتذكر؟ الآن تخيل أنك هذا الطفل الصغير الذي مر بظروف حرب وما فيها من قتل، وقصف، وموت، وحصار، وتدمير، ولم يكن هذا هو أصعب ما مر به. بل رؤيته لوالديه عاجزين، وقد كان يعدهما خارقين، فرأى عجزهما عن دفع الأذى عنه أو حتى عن نفسيهما. راقب انهيارهما، وخوفهما الواضح على وجهيهما الشاحبين مما يحدث حولهما من أحداث مفزعة نتيجة النزاعات المسلحة. الآن ستصل إليك مشاعر هذا الطفل الصغير بالتأكيد، وتستطيع تفهم ردود فعله للتمكن من مساعدته في ظل الظروف الصعبة، وهذا هو المطلوب.

عندما يفقد العديد من الأطفال أسرهم بالكامل أو أغلبها في الصراعات المسلحة والحروب، يتعرضون لظروف قاسية كالعمل المبكّر، أو العمل بالسخرة في أعمال شاقة ومرهقة لهم جسدياً ونفسياً، بسبب الاحتياج الشديد إلى المال أو تسلّط المجتمع عليهم؛ الأمر الذي يُفقدهم البراءة، إذ يحملون المسؤولية ويواجهون صعوبات الحياة، ويُحرمون من استمتاعهم بطفولتهم، ويدخلون إلى حياة الكبار الشاقة في وقت مبكّر.

إن الأسرة هي عالم الطفل الأول، وعلاقته بها هي الأوثق والأهم في حياته، والصراعات المسلحة تُدمر أمان الطفل الاجتماعي، إذا تعرض الطفل لصدمة فقد الأهل، فتنقلب حياته رأساً على عقب، ويُترك فريسة الوحدة والخوف من المجهول، بعد انهيار نظام حياته واضطراره إلى تحمل مسؤولية نفسه في سن مبكّرة، من دون حماية أو توجيه. نادراً ما تستطيع العائلات المتضررة، بسبب أثر تلك النزاعات المسلحة وظروفها المتقلبة، الحفاظ على استقرار الطفل، فيفقد الأطفال الاستقرار. كما أن كثرة التنقل من نظام حياتي إلى آخر، يحرمهم الشعور بالأمان ويسبب لهم صدمة هجر منازلهم وأصدقائهم المتعلّقين بهم، ومنهم مَن يتعرضون لظروف أسوأ حالًا مع الوقت، وتتخطى معاناتهم مجرد محاولات التأقلم مع الأوضاع الجديدة وسريعة التغيير.

إن أي نزاع مسلح ينطوي على العديد من المشاهد القاسية والأهوال التي لا يستوعبها عقل ولا يتحملها قلب، ويعاني بسببها العديد من الناس الاضطراباتِ النفسيةَ العميقة، التي يصعب علاجها، وقد تستغرق أعواماً طويلة لتجاوزها، فكيف بالأطفال عندما يتعرضون للصدمات النفسية بسبب الأحداث المؤلمة، مثل القصف، أو مشاهد القتل، أو فقد الأهل، أو الهجرة غير الشرعية، أو التهجير؟ ولأن أحداث مرحلة الطفولة تترك حرجاً عميقاً في النفس البشرية، مهما يبلغ الطفل من العمر، تبقى رحلة التعافي من المشاهد القاسية وفقد الأسرة والأمان الاجتماعي رحلة شاقة، يفشل عدد كبير من الناجين من النزاعات المسلحة والحروب في تجاوزها، ويحتاجون إلى دعم نفسي منقطع النظير.

مأساة الطفل الفلسطيني

خلال هذه الرحلة الصعبة، من الضروري أن نعمل على إنشاء بيئة آمنة، حيث يشعر الطفل بالأمان، ويشعر بحب غير مقترن بقيد أو شرط. فعلينا أن نشجع التواصل المفتوح الذي يسمح له بالتعبير عن مخاوفه وحزنه وارتباكه من دون حكم. ويساعدك الاستعداد بالاستماع

إليه وفهم مشاعره على الشفاء. وعلى الرغم من أن الطريق قد يبدو طويلاً وغير واضح المعالم، فإن الطفل ليس الوحيد وسط المعاناة ؛ لذا، يجب أم نجعل من قصة معاناة النزاعات المسلحة منارة للأمل للعائلة وللطفل، حيث يعيش كثير من الأطفال معاناة الصراعات المسلحة، سواء في المجتمع الواحد أو في مجتمع مختلف ويعانون ويلاتها، ومنها التجربة القاسية التي يعيشها أطفال غزة حالياً جراء حرب الاحتلال الإسرائيلي على بلدهم. وكحال غزة تتعرض عدد من البلدان لصراعات وحروب تترك أثرها العميق في الأطفال، ومنها أفغانستان والسودان والعراق وسوريا وغيرها.

وكما تشكل الصراعات المسلحة ضغوطاً نفسية على أطفال فلسطين، فإنها أيضاً تشكل الضغوط نفسها على أطفال العالم العربي بل العالم أجمع، إذ يتابع الجميع بالصوت والصورة، وبشكل مباشر العدوان الإسرائيلي الغاشم على غزة وما يخلفه من آثار مروعة من قتل مباشر بالصواريخ والقذائف وغيرها، فيصيبهم إما بالموت أو بإعاقات وعاهات مزمنة.

ما يتعرض له أطفال النزاعات المسلحة من مشاهد رعب وقتل ودمار سيترك آثاراً نفسية سلبية عديدة فيهم، سواء على المدى القريب أم البعيد ؛ لذا فإنهم بحاجة إلى جلسات تأهيل نفسي تجعلهم يخرجون من هذه الحرب بأقل الخسائر النفسية.

كما أن أجواء النزاعات المسلحة تولد لدى الأطفال مشكلات عديدة ؛ منها:

القلق الشديد، وخاصة الخوف من الموت أو الفقدان.. مشكلات النوم والأحلام المزعجة المترتبة على الذكريات المؤلمة التي خزنها عقلهم الباطن.. دخول الطفل في حالة حزن شديدة قد تعرضه للدخول في حالة اكتئاب. ومن الممكن أن يصبح سريع الانفعال، ويدخل في نوبات غضب شديدة مبالغ فيها عند أبسط المواقف على سبيل التفريغ الانفعالي لجرعات الألم والخوف والقلق التي مر بها في المشاهد الصعبة .

إن شعور الأطفال بالخوف أمر طبيعي إذ يشعر به أي شخص لو كان في ظروفهم نفسها، فمن المناسب مساعدتهم ومساعدة أهلهم على تقبل مشاعر الخوف وعدم التهرب منها بالكبت. لذا ينبغي على الأمهات والآباء أن يتفهموا هذه الآثار، ويساعدوا الطفل على تفريغ هذه المشاعر السلبية .

ووفقًا لما رأيناه على الشاشات وما تحدث به أهل غزة، فإن هذا الصراع المسلح الغادر كان الأقسى والأكثر شراسة، وهذا يتطلب مجهوداً أكبر من الأهل والأطفال

> إعطاء الأطفال الفرصة للتعبير عن معاناتهم بطرق مباشرة وغير مباشرة

لتجاوز التراكمات النفسية المترتبة على هذا الصراع غير المتكافئ .

إن غالبية أهل غزة مرت عليهم حروب سابقة، وواجهوا مع أطفالهم الكثير من الخوف والألم النفسي، وكانوا يحاولون جهدهم احتواء أطفالهم ومساعدتهم على تخطي هذا الألم النفسي، ولا يزال أطفاله أبرز الضحايا، فها هم يسجلون شهاداتهم تارة بالكلام وتارات بالدم، وبالغياب تحت ردم منازلهم أو خيامهم. لذا من المهم العمل على رفع معنويات أطفال الحرب من خلال نشاطات، فهذه النشاطات مهما تكن بسيطة فإن أثرها كبير، بحسب الخبراء .

النجاة من الآثار المدمرة

يحتاج الطفل في أثناء الظروف الصعبة كالأزمات المسلحة إلى أمور بسيطة ولكنها مهمة، ليكف عن الشعور بالوحدة، ويقدر على التأقلم مع معاناته بشكل أفضل، وأن يواجه الأوضاع الصعبة ؛ ولذا من المهم أن يعبر الأطفال عن معاناتهم بطرق مباشرة وغير مباشرة. وتختلف ردود الفعل من طفل إلى آخر، وتعتمد على 3 عوامل هي: نوع الحدث، وطبع الطفل وعمره، والجو الأسري ومدى قوة علاقة الطفل بأسرته.

أما الطرق غير المباشرة فتكون بظهور مشكلة تعبر عما يمر به، مثل:

. **تعبير قد يأتي عن طريق شعوره:** بالخوف، التوتر، الضيق، الانزعاج، الغضب، الحركة الزائدة، وطرح الأسئلة بشكل مفرط

. **اضطرابات في الكلام** كالتلعثم أو «التأتأة».

. **عدم التحكم في التبول أو التبرز،** إما إمساك أو إسهال أو التبول اللاإرادي.

الطرق غير المباشرة لتعبير الطفل عن معاناته في الحروب

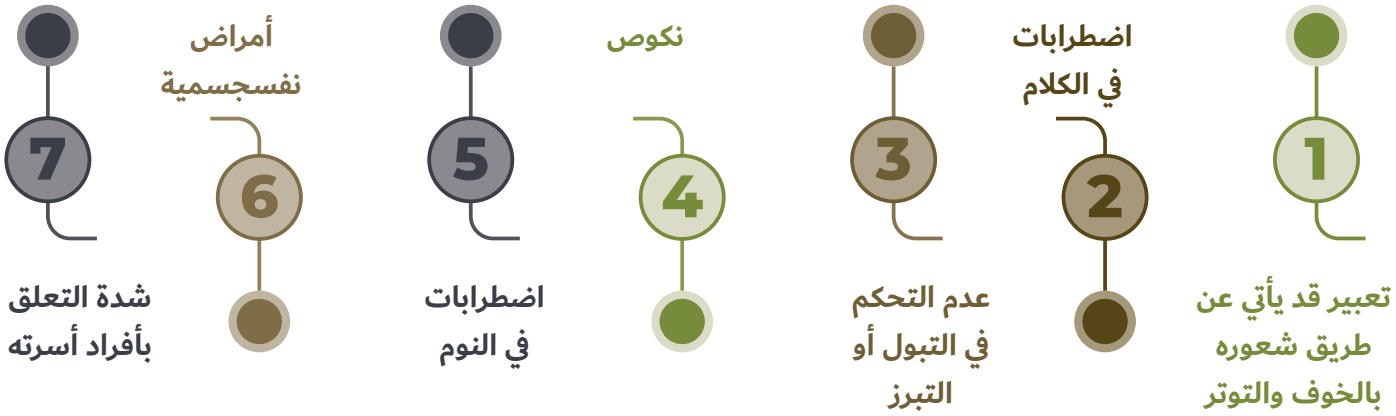

. **نكوص:** أي عودته إلى سلوكيات طفولية غير مناسبة لعمره، مثل: الحبو، أو مص الأصابع وغيرها من الأمور.
. **اضطرابات في النوم مثل:** الإصابة بالأرق، أو الكوابيس، أو الإفراط في النوم.
. **أمراض نفسجسمية،** وهي الأمراض الجسدية سببها نفسي، مثل: تشنج الأطراف نتيجة للتوتر النفسي، وأحياناً آلام في البطن، أو الرأس.
. **شدة التعلق بأفراد أسرته،** وخصوصاً والديه، والالتصاق بهم طوال الوقت خوفًا من فقدهم.
ومن المهم ألا نكذب على الطفل، ولا نستخف بذكائه؛ فالطفل حتى إن لم يكن لديه الفهم الكافي والمعلومة الكاملة، إلا أنه يشعر بما يدور حوله. والكذب على الطفل أو تضليله أو إعطاؤه الأمان المزيف يجعله يفقد ثقته بالراشدين من حوله .

وعلى ولي الأمر أن يكون متفهماً ومتعاطفاً، وأن ينتبه تماماً للغة جسد الطفل وتعبيرات وجهه، ويعترف بمشاعره ويسميها بمسمياتها الحقيقية، فلا يوجد في مسألة المشاعر صح أو خطأ، وأن يبتعد عن النصائح الجاهزة والمحاضرات الطويلة، وأن يتجنب النقد وإصدار الأحكام لما سيسمعه من الطفل، وأن يتذكر أن الطفل ذكي وأن تعبيرات وجهه ستترك فيه أثراً سلبياً أقوى، ولو لم يقل كلمة واحدة، وأن يؤكد له أنه مدرك مشاعره التي عبر عنها، وأنه يتفهمها جيداً، ويأخذها على محمل الجد ويحترمها.

عندما يعبر الطفل عن خوفه فعلينا أن نؤكد له تفهمنا مخاوفه. وعندما يعبر لنا عن مشاعر الكره والحقد التي شعر بها بسبب الأحداث حوله، فمن المهم أيضاً تقبل مشاعره السلبية، وفي مرحلة لاحقة يمكن العودة إلى تصحيح المعلومات وتوضيح الأحداث، وعلينا أن نساعد الطفل على التّعامل مع الظروف الصعبة.

إن أحد العوامل الأساسية التي تسهم في زيادة الخوف هو انعدام المعرفة أو قلتها، فكثير من مخاوفنا تنبثق من أمور غير معروفة لنا أو غير محددة. وبما أن الأطفال بصورة عامة معرفتهم محدودة، فإن هذا يزيد مخاوفهم، ويجعلهم حائرين، ولديهم العديد من التساؤلات.

الخروج من الصدمة

إن خروج الطفل من مأساة النزاعات المسلحة يجعل ولي الأمر مسؤولاً عن مهمة تزويده بالدعم اللازم، لإخراجه من الصدمة التي استقرت في نفسيّته. وذلك بالراحة والدعم اللازمين، ليتخطى هذه المحنة، فيجب اكتشاف ما يعرفه وكيف يشعر به، بأن يتم اختيار وقت ومكان يمكن فيهما التحدث عن الموضوع بشكل طبيعي، ومن المرجح أن يشعر الطفل بالراحة في التحدّث بحرّية، ولكن يجب تجنب الحديث عن الموضوع قبل النوم مباشرة.

إن للطفل الحق في معرفة ما يحدث في العالم، لذا يتحمل الكبار أيضاً مسؤولية إبقائه في مأمن باستخدام لغة مناسبة لعمره، ومراقبة ردود أفعاله، وإدراك مستوى قلقه. وعند إنهاء المحادثة، من المهم التأكد من ألا يُترك الطفل في حالة من الضيق. وذلك بمحاولة تقييم مستوى قلقه ومراقبة لغة جسده، مع الأخذ بالاعتبار ما إذا كان يستخدم نبرة صوته المعتادة مع مراقبة تنفسه. وللتأكد من استقراره النفسي من المهم أن تكون حالته النفسية آخذةً في التحسن رويداً رويداً.

رؤية سيكولوجية للأطفال في الحروب.. فلسطين أنموذجاً

خائـــــفون من الغد.. لا أمان.. لا ثقة بحمـــــــاية العائـــــلة لـــهم!

ا.م.د. محمد محمود العطار
أستاذ مساعد - كلية التربية - جامعة الباحة سابقاً

يشكل سكان أى بلد عنصراً أساسياً في تحليل الأوضاع الحياتية والمستقبلية فيه، باعتبار أنهم يشكلون عنصراً من أهم عناصر موارده، ويتميز المجتمع الفلسطيني عن غيره من المجتمعات الأخرى بكونه مجتمعاً يافعاً، حيث يمثل الأطفال فيه نحو نصف السكان، وهذا معناه أن نصف تعداد الشعب الفلسطيني تقريباً من الأطفال الذين تفتحت أعينهم على القهر والظلم والطغيان الإسرائيلي، وعايشوه وما زالوا يعيشون فيه تحت هذا الجبروت.

ودوي المدافع يكاد يصم آذانهم، وأزيز الطائرات يروع قلوبهم، ومشاهد القتل والدمار شريط يتجدد أمام أعينهم كل يوم. هذا ما يعيشه أطفالنا في فلسطين، ففي كل يوم يرى الأطفال الفلسطينيون جنود الاحتلال الإسرائيلي يتجولون ويتعاملون بغطرسة واعتداء، يراهم الطفل وهم يهينون أهله، ويذلون شعبه ويهدمون منازله، ويتوسعون في أرضه في وقت يعجز فيه هؤلاء الأهل عن المقاومة. ومن هنا كان قرار الأطفال بالتمرد على الواقع المذل الأليم، وهؤلاء الأطفال أصغر من أن يحملوا السلاح ويتعاملوا بالنار مع جنود السلطة الإسرائيلية المحتلة؛ لذا اختاروا بدلاً من ذلك سلاحاً بسيطاً للغاية ويتناسب مع أيديهم الصغيرة وأجسامهم النحيلة وهي الحجارة، حيث يقذفون بها جنود الاحتلال ثم يجرون ويتعقبهم جنود الاحتلال بعرباتهم المدرعة وأسلحتهم النارية الخفيفة والمتوسطة، وبينما يفر الأطفال إلى الحواري والأزقة الضيقة في المدن والقرى، يعجز جنود الاحتلال عن دخولها راكبين. فيترجلون، وهنا يواجههم وابل آخر من الحجارة من الأطفال أنفسهم، أو من موجة أخرى من الأطفال، وهكذا.

يعيش الأطفال الفلسطينيون في الأراضى التى تحتلها إسرائيل ظروفاً بالغة الصعوبة. فهم لا ينالون الحد الأدنى من الرعاية الصحية الأولية، ويعانون سوء التغذية، وبحكم واقعهم التعليمى المرير نقص الخدمات التربوية الأساسية. كما يعانون وطأة الشعور بالتمييز نظراً لحرمانهم من تكافؤ الفرص مع أطفال إسرائيل.

إن قتل الأطفال الفلسطينيين، وإصاباتهم بدقة متناهية، في أماكن جسدية تسبب الإعاقة المستديمة لهم، هو قرار سياسي، ينفذه بأداة عسكرية بشرية وتقنية والعنصر البشري المنفذ مؤهل تأهيلاً كاملاً وبكفاءة؛ لقتل الأطفال والصبية العرب.

أصوات الانفجارات في ذاكرتهم تغطي على صوت النصائح التى يتلقونها

كابوس اسرائيل

إن أطفال فلسطين هم الكابوس الذي يذكّر الإسرائيليين بأنهم راحلون، وأنهم مجرد لحظة عابرة ستنتهي كما انتهى مستعمرون قبلهم، ولهذا السبب يركز الإسرائيليون على هؤلاء الأطفال، حتى الأجنة في بطون الفلسطينيات لا تسلم من الأذى.

ولا ينفي وجود المعاناة التى يسببها المحتل الإسرائيلى ظهور أشكال عديدة من العنف الذى يوقعه المجتمع الفلسطيني على أطفاله؛ نتيجة دوامة الضغط التى تبدأ من الأب الذي غالباً ما يفقد عمله جراء الحصار الاقتصادي الذي تفرضه

إسرائيل، ويعجز عن توفير احتياجات أسرته، فيوقع غضبه على الأم التي تسقطه بدورها على أطفالها.

الأطفال والحرب

الأطفال هم مصدر الثروة في المجتمع على المدى البعيد؛ فهم جيل المستقبل. ويعد الاهتمام بهم ورعايتهم من الضروريات الأساسية لخلق جيل منتج قادر على العطاء، فالحروب تحرم الأطفال من حقهم الطبيعي في العيش بأمان، وتحرمهم من طفولتهم، كما تحرمهم من ذويهم وبيوتهم وتعرض حياتهم للخطر.

وتؤثر الحروب تأثيراً سلبياً كبيراً في الأطفال، فكثير منهم يتعرضون للاختطاف والاغتصاب والتجنيد العسكري والقتل و التشويه وأشكال عديدة من الاستغلال، ويبقى الحرمان من التعليم والصحة أشد هذه التأثيرات لأنه يسهم في تكوين أجيال تغرق في الجهل والأمية والمرض، وقد تنخرط بعد ذلك في هذه الحروب.

ولقد تسببت الحروب في قتل أعداد غير معروفة من الأطفال أو جرحت أو يتمت، الآلاف قتلوا في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين واليمن وليبيا والسودان، ولم يدر ملايين آخرون عائلاتهم، ومثال ذلك ما يحدث في الأراضي العربية المحتلة من انتهاكات صارخة تصدر عن المحتل الإسرائيلي الصهيوني ، الأكثر وحشية وشراسة من النازية في تعامله مع أطفال الحجارة، وهذا يعد كارثة اجتماعية وإنسانية خطيرة مسكوتاً عنها، حيث يعيش جيل الطفولة في الأرض المحتلة محروماً من أدنى حقوقه الإنسانية، حيث استبدل العدو الصهيوني بسلاسل الأرجوحة سلاسل التعذيب وفرض عليهم أن

يفتقدون الحنان والأمان لكنهم يرفضون نظرات الشفقة والحب من الآخرين!

يفكروا بالسبل والوسائل النضالية الممكنة والمتاحة تحت ظلم الاحتلال؛ بأن تصنع منه الجيل الأكثر صلابة وتمرساً على العمل.

إن الحرب تسبب الصدمات أو على الأقل تزعزع الحياة اليومية، وهي على الأرجح انتهاك لحقوق الأطفال، والأطفال من أكثر الفئات تضرراً بالحروب وذلك من أوجه عديدة؛ فإغلاق المدارس والمستشفيات وإتلاف المحاصيل ينعكس سلباً على النمو السوي للأطفال. ويجري في الوقت الحاضر استخدام الأطفال للقتال في الحروب.

شيوخ قبل الأوان

إن الغالبية العظمى من الأطفال العرب يعيشون بلا طفولة حقيقية ويشيخون قبل الأوان، فهم ضحايا الفقر الذي يحرمهم من حقهم في التعليم، ويلقيهم مبكراً إلى أسواق العمل، وحتى الذين تتاح لهم فرص التعليم والترقي يقعون ضحايا النظم التعليمية التي تقتل ما في داخلهم من إبداع، وتزرع فيهم الخوف والريبة من الحياة الدنيا.

إن الطفل من حقه أن يحظى بالحب والحنان والاهتمام والاحترام والإحساس بالأمان والرعاية الصحية والحماية من العنف أو الاستغلال، ومن حقه أن يلعب ويضحك ويتعلم بلا معاناة، ومن حقه التعبير عن رأيه والحصول على معلومات والإسهام في الأنشطة الفنية والثقافية، وإلى الرعاية الحقة من القائمين على المؤسسات التي لها صلة بالطفولة، وإلى الأمن النفسي وعدم الخوف من الجار والصديق. إنهم بحاجة إلى الحماية من الإهمال والنبذ، بحاجة إلى الحماية من كل من يخاف الله فيهم وفي براءتهم، فكل يوم نرى آلاف الأطفال في كل أنحاء العالم يموتون من الجوع والفقر، ونرى أيتاماً ينقصهم الأمن والدفء والحنان، كما أن كثيراً منهم يعانون ويلات الحروب ويعيشون

لاجئين، ومنهم من هو محروم من أبسط حقوقه؛ وهو التعليم والرعاية الصحية.

أطفال الحروب.. والعنف

الحرب عمل عنيف، حيث يتعرض الأطفال لعدة أنواع من العنف، مثل العنف اللفظي والجسدي والنفسي من قبل الأسرة أو المدرسة أو الشارع، إضافة إلى أن الضائقة المالية التي يتعرض لها الوالدان، نتيجة ازدياد نسبة البطالة في المجتمع الفلسطيني، لها أثر كبير في توتر علاقة الآباء بالأبناء وتلبية الاحتياجات النفسية والفسيولوجية لهم؛ ما يؤثر في ردود فعل الوالدين نتيجة إلحاح الطفل على رغباته، لأنه لا يدرك عدم إمكانية تنفيذها، فلا يجد الوالدان بداً من تفريغ الضغوط النفسية في الطرف الأضعف، فيضربون أبناءهم أو يعنفونهم بحدة؛ ما يؤثر سلباً في الترابط الأسري، ويدفع الطفل إلى الهرب خارج البيت طوال الوقت والابتعاد عن دراسته وتلبية حاجاته الفسيولوجية ؛ الأمر الذى يهدد بنشأة جيل ضعيف البنية نفسياً وجسدياً.

إن الخوف من الغد أو من المستقبل، وعدم الإحساس بالأمان، وعدم قدرة رب العائلة «الأم أو الأب» على فرض حمايته، هي أحاسيس يتميز بها الأطفال الذين يعيشون أجواء الحروب؛ فهم يدركون أن هؤلاء الكبار لا حول لهم ولا قوة، وأن قدراتهم أقل بكثير مما كانوا يعتقدون، وبخاصة عندما يلمحون نظرات الذعر ودموع الخوف فى عيون الآباء والأمهات. وتولد هذه الأحاسيس لدى الأطفال خوفاً دائماً من الغد، وعدم القدرة على الحلم والتخطيط للمستقبل، لأن كل شيء قد يضيع في لحظة.

والمثير أن هؤلاء الأطفال يرفضون بعد فترة نظرات الشفقة والحب من الآخرين، بالرغم من أنهم يفتقدون الحب والأمان والحنان، ويميلون إلى التشاؤم والضيق واليأس، إضافة إلى أن هؤلاء الأطفال يصبحون أكثر توتراً وعصبية، ولا يتحملون أي حديث، كذلك إصابتهم بحالات من الفزع والهلع والصراخ بمجرد سماع صوت الرشاشات أو مشاهدة الدماء، ويجب أن يخضع هؤلاء الأطفال لبرامج إعادة تأهيل اجتماعي، وعلى القائمين على هذا البرنامج أن يتحلوا بالصبر الشديد، وألا يتعجلوا النتائج، فأصوات المدافع والانفجارات في ذاكرة هؤلاء الأطفال قد تغطي على صوت النصائح التى يتلقونها.

إن مرحلة الطفولة التي يحياها الطفل مرة واحدة في حياته لن يستطيع استعادتها إذا طلب إعادتها؛ فالإنسان يخرج طفلاً ليربى وليداً، ليصير شاباً يافعاً ورجلاً كبيراً، ولكن الرجل الكبير لا يعود رضيعاً فطيماً ولا طفلاً صغيراً، ولهذا يجب أن يحيا الطفل طفولته بكل امتلاء، يمارس فيها مهنة اللعب في إطار من التوجيه السليم والإرشاد الصحيح، فما خُلق الطفل طفلًا إلا ليلعب، وما وُجد اللعب إلا للطفل؛ فالطفل الذى لا يلعب لعباً جميلاً يستريح فيه وإليه قد خسر طفولته إساءةً وإهمالاً وظلماً، وسُلب مباهج الطفولة كرهاً وقهراً.

وعلاوة على ذلك؛ فإن الظلم والقهر والإكراه، الذي يتعرض له الطفل الفلسطيني تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلى لبلاده وحرمانه من بيئة اللعب يميت قلبه وروحه، ويعطل ذكاءاته المتعددة، وينغص عليه حياة العيش في هذه الطفولة التى تكتسي بؤساً وحرماناً ويأساً.

الأطفال.. ومشاهد الحروب

يجد الأطفال في التلفزيون مشاهد عديدة للحروب والنزاعات المسلحة، التي تتسابق بعض القنوات الفضائية إلى عرضها، إذ يشاهد الأطفال أطفالاً تقل أعمارهم عن ثماني عشرة سنة مجندين ومقاتلين في نزاعات مسلحة، على رغم أن ذلك محرم دولياً، ويبلغ عدد الأطفال المجندين في العالم اليوم مئات الآلاف، ويجد الأطفال في الجو التلفزيوني الذي تشكله الفضائيات للنزاعات المسلحة أطفالاً لاجئين مع ذويهم أو آخرين فقدوا الأهل والأرض، ويزيد عدد اللاجئين من الأطفال اليوم على نصف أعداد مجمل اللاجئين في العالم. ويشاهد جمهور التلفزيون من الأطفال أقراناً لهم قتلى تُلقى أجسادهم في ساحات المعارك، وآخرين بُترت أعضاؤهم بسبب المقذوفات. كما يشاهدون أطفالاً يتعرضون لظروف قاسية ومعاملة سيئة، مثلما يشاهدون أطفالاً رسم الفقر والجوع على وجوههم وأجسادهم علامات بارزة. ويشاهد

آثار الحرب تظهر في أجيال كاملة ممّن نجوا من الحرب نفسها

جمهور الفضائيات من الأطفال أطفالاً لا يجدون لعباً غير أن يلعبوا بالألغام التي يغرسها المتنازعون في بؤر النزاع، تلك الألغام التي سرعان ما تنفجر في وجوه اللاعبين الصغار. ويشاهد جمهور الفضائيات من الأطفال مئات المشاهد العنيفة في عالم نزاعات الكبار، مثلما يشاهدون الموتى الذين تتركهم الحروب ضحايا وقد انتفخت أجسادهم وقد تقاطرت منها الدماء، مثلما يشاهدون أعمال العنف الأخرى والتعذيب والاعتقال والترحال.. وهكذا، يتعرض الأطفال لأعمال العنف والرعب، ومن ثم ينتشر القلق في نفوس الأطفال وتزيد مخاوفهم، وعلى هذا فإن الأطفال ضحية للعنف والنزاعات المباشرة، حيث يلاقون الموت والإصابات والخوف والدمار، بسبب المشاركة في النزاعات المسلحة، وهم حين يكونون جمهوراً للتلفزيون يتأثرون بما يعرض عبر شاشته على مستوى المشاعر، والتفكير، والسلوك. وقد ثبت أن برامج العنف والنزاعات المسلحة من أكثر الموضوعات تأثيراً في الطفولة.

إن أخطر آثار الحروب على الأطفال ليس ما يظهر منهم وقت الحرب، بل ما يظهر لاحقاً في جيل كامل ممن نجوا من الحرب وقد حملوا معهم مشكلات نفسية لا حصر لها، تتوقف خطورتها على قدرة الأهل على مساعدة أطفالهم على تجاوز مشاهد الحرب.

إن أطفال العالم العربي يتعرضون، مثل كثير من أطفال العالم، لتأثيرات النزاعات المسلحة بصورة مباشرة، ويتعرضون أيضاً لمشاهد الكثير من النزاعات عبر الفضائيات.

إن ما يحدث للأطفال في ظل الحروب يضع الضمير الإنساني وجهاً لوجه أمام مسؤوليته الأخلاقية؛ فكيف يقبل هذا «الضمير الإنساني» القذائف التي تنهمر في عشوائية على المدنيين العُزل لتحصد أرواح الأبرياء، وتدفن تحت الأنقاض عشرات الجثث لأطفال ونساء وشيوخ؟!

حلول.. لمن يريد أن يسمع!

- تشجيع الدول على إبرام المعاهدات التي تضمن حماية حقوق الأطفال.
- تفعيل دور المنظمات الدولية والإقليمية المعنية بحماية الأطفال في الحروب.
- سنّ القوانين التي تمنع انخراط الأطفال في الجيوش.
- ضمان توفير التعليم للأطفال في ظل الحروب وللأطفال اللاجئين؛ ضماناً لمستقبلهم واندماجهم في المجتمع.
- توفير الرعاية الصحية للأطفال المتأثرين بالنزاعات المسلحة.
- إشراك الأطفال في عمليات المصالحة وبناء السلام ونبذ الحروب.

حلول لحماية الأطفال من تبعات الحروب

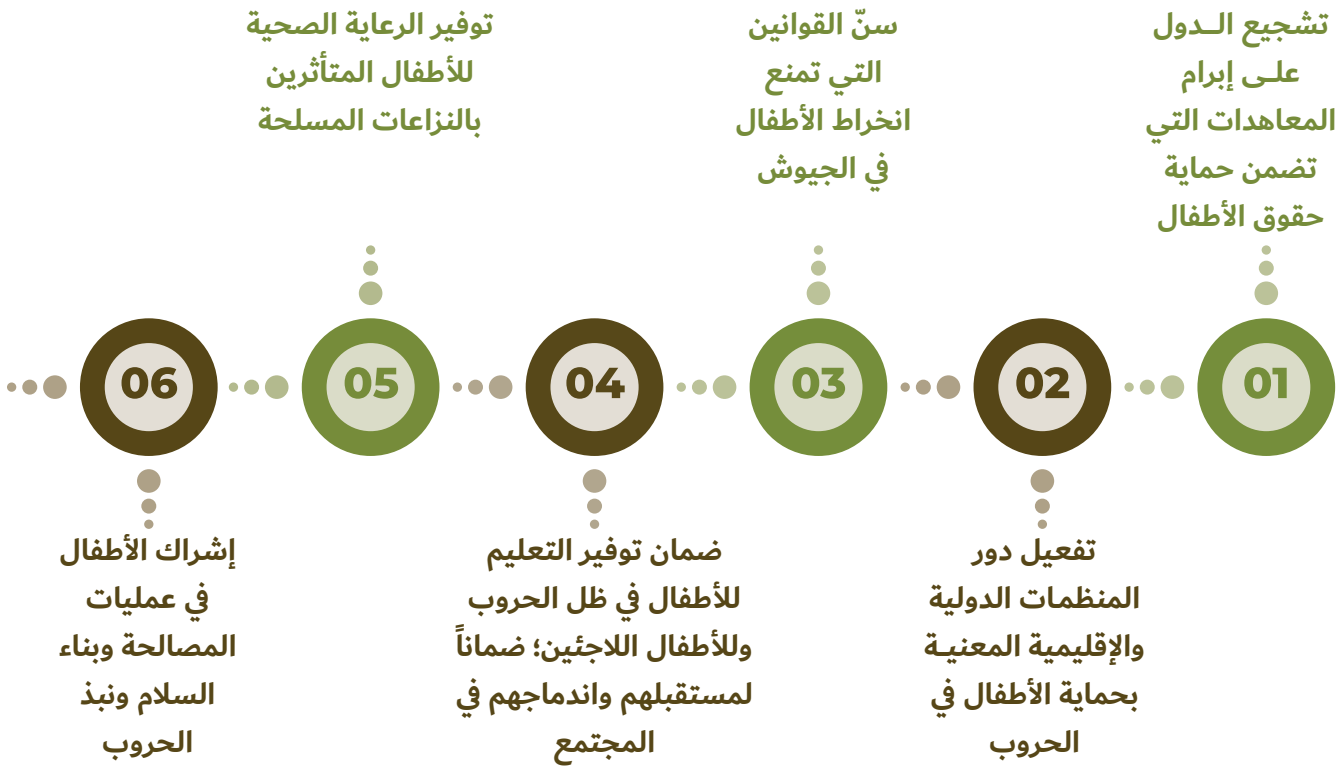

كل ما يراه الطفل قد يُنسى إلا ويلات الحروب

أ.م.د. رحاب أحمد شوقي
أستاذ مساعد المناهج وطرائق التدريس
كلية التربية - جامعة الإسكندرية - مصر

باتت الحرب أعتى الأحداث، وأوسعها تدميرًا لكل ما له قيمة إنسانية؛ لذا سنظل نلعن الحرب بكل ما تستخدمه من وسائل، وما تُعلنه من أهداف، فالحروب في عصرنا الحالي توسم بكونها حروبًا ضروسًا تسفك وتدمر أكثر من الحروب في الأزمنة السالفة؛ بسبب التطور الهائل في أسلحة الهجوم والدفاع وهذا ما يجعلها مريرة، وعنيفة، وحقودًا، وعنيدة تطيح بما يُعرف بالمواثيق الحقوقية المَنُوط بالدول الالتزام بها في زمن السلم، وتتجاهل ما للجرحى والخدمات الطبية من حقوق، وتساوي بين عسكريين ومدنيين عُزّل، وتحطم بقوة غاشمة كل ما يصادفها، وتهتك كل الأواصر كما لو أن الإنسانية ماتت ووراءها الثرى وخلفت وراءها إرثًا من الإصابات الجسدية والإعاقات والصدمات والاضطرابات النفسية والعقلية ، يجعل من الصعوبة على البشر تخطي كل ذلك والتمتع بهناء العيش.

أطفالنا تحت القصف

رغم أننا نتمنى بإخلاص أن تنتهي كل الحروب ، فإننا لا نستطيع أن نجزم بموعد انتهاء حرب قد اندلعت أو نَعِد بعدم اندلاع حروب أخرى، فالطفل يتأثر بالحرب وأعمال العنف والقتل أكثر من الراشد؛ لأنه كائن في طور النمو وعاجز بمفرده عن مواجهة ضغوط الحياة والعالم الخارجي المهدد، فالمشاهد المرتبطة بأي حرب تتجسد في تلك الصور المؤلمة والمرعبة للدمار، والقتلى، والجرحى، والتهجير، والنزوح، والتجويع، والشيء الذي قد يبقى في ذاكرة الطفل هو تلك الصورة المؤلمة التي تتركها الحرب وأعمال العنف ، والتي تتجلى من خلال أعراض عدة: كالشرود، وضعف الانتباه، والتبول اللاإرادي، والقلق، والخوف، والذُّعر والأحلام المزعجة، والشعور بأن العالم الخارجي مُعتدٍ ومهدد وغير آمن؛ فضلًا عن الإحساس بفقدان شيء ما، وهذا الشيء قد يكون صديقًا أو من ذوي القربى أو لُعبة يملكها أو تقديرًا لذاته، كما يمتزج هذا الإحساس بالخوف والأسى عند تذكر الموقف أو الحدث، وهذه الأعراض قد تستمر لفترة قصيرة أو طويلة، والتى يطلق عليها علماء النفس صدمة الحرب أو اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة.

تداعيات الحروب على الطفولة

فيما يأتي تفصيل للآثار التي تترك بصمتها على تطور الطفل ونموه الطبيعي، ومن جهة أخرى الركائز التي ينبغي أن يستند إليها أي عمل؛ لمساندة الأطفال لتخطي هذه الظروف:

. **عدم تلبية الاحتياجات المادية:** النقص في الطعام والاحتياجات الأساسية الأخرى يحرم الطفل من الطاقة الكافية للعب والتعلم.

. **انعدام الشعور بالحب والأمان:** عندما يعيش الكبار حال القلق بسبب أوضاعهم فإنهم لا يُعطون أطفالهم الاهتمام والعناية الضروريين، كما أن الأطفال المهجرون واليتامى والمشردون يفقدون التماسك الأسري وحياة المجتمع الذي يزودهم بالحماية والأمان.

. **إعاقة عملية التعلم:** لا يستطيع الأطفال اللعب أو التركيز أو التعلم من دون تلبية الاحتياجات الأساسية والانقطاع عن الحياة المدرسية؛ مما يتسبب في اكتساب خبرات غير منظمة، وتزعزع معتقدات الصواب والخطأ.

. **عدم توافق المسؤوليات مع المرحلة العمرية:** يضطر الأطفال إلى تحمل مسؤوليات كبيرة في الحرب؛ مثل: حمل السلاح، وتحمل مسؤولية عوائلهم بعد فقدان المعيل.

. **النقص في الثناء والتقدير:** إن العيش في ظل الحرب يجعل من الصعب أن يشعر الأطفال بأهميتهم. وحين يفقدون الدعم والاهتمام، يشعرون بأن المجتمع المحلي والمجتمع ككل، قد تخليا عنهم.

صدمة الحرب، ومظاهرها لدى الأطفال

يُستخدم اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة Post Traumatic Stress Disorder (PTSD) للدلالة على اضطراب نفسي خاص يتلو حدوث الصدمة، إذ يحدث نتيجة تعرض الفرد للتهديد بالموت، أو الأذى الجسدي الشديد (الإعاقة) ، أو حدث مؤلم جدًا يتخطّى حدود التجربة الإنسانية المألوفة (أهوال الحروب، أعمال العنف، والقتل، والتعذيب والتنكيل).

تتعد مظاهر اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة عند الأطفال، ومن بينها ما يأتي:

. **الاستدعاء البصري للأحداث:** أي أن يستعيد الطفل

الأحداث التي تعرض لها كصور بصرية يعبر عنها في رسوماته أو ألعابه.

. **نسيان أو خلل في ترتيب الأحداث:** وهنا يروي الطفل ما حدث معه، ولكن من دون ترتيب دقيق، كما يحذف جزءًا من الأحداث لم يعد يتذكره، وهي محاولة -غير واعية- منه للتخلص من بعض المشاهد، والأفكار، والأحداث التي لا يحتملها أو لا يرغب في الاحتفاظ بها.

. **رفض الحدث وإنكاره:** في الواقع تعد هذه الظاهرة من المؤشرات المهمة على مدى الضرر الذي لحق بالطفل، فهو لا يحتمل التصديق بأن الحدث قد تم بالفعل، فينكر ذلك تمامًا.

. **زيادة الخوف والتوتر:** وفيه يبدو الطفل وكأنه في حالة توقع لحدوث شيء مكروه، فهو يتوقع دائمًا أنه سوف يتعرض لخطر كالذي مر به، فيحدث لديه نوع من الحركات اللاإرادية، كما يخشى الوحدة سواء في النوم، أم الجلوس، أم السير.

. **انخفاض القدرة على الانتباه والتركيز:** قد نجد الطفل يعاني ضعف الانتباه ، والشرود، والتشتت، ويبدو ذلك جليًا في تواصله مع المحيطين به، والتعلم.

. **زيادة الغضب، والعنف السلوكي واللفظي:** قد تظهر سلوكيات غير مقبولة موجهة للآخرين أو لذاته، فنجد الطفل يدخل في ثورات الغضب وقد يتلعثم بالكلام؛ فهو يغضب لأتفه الأسباب أو حتى من دون سبب، أما العنف السلوكي فيظهر من خلال كسر ما يقع تحت يديه من أشياء، أو ضرب أقرانه أو بعض أفراد أسرته، كما يظهر العنف اللفظي في صورة سب الأشخاص أو الأشياء، ويظهر العنف أيضًا نحو الذات فيؤذي الطفل نفسه.

العوامل المؤثرة في التعافي من صدمة الحرب

إن اضطراب ما بعد الصدمة قد يستمر عدة أشهر أو سنوات، ويبدو أن هذه المدة تتوقف على عدة عوامل: نفسية، وأسرية، واجتماعية، ... وغيرها، ومن بين العوامل التي تؤدي إلى ظهور ذلك الاضطراب:

. **النقص في الدعم الاجتماعي:** غياب الأبوين أو انفصال الطفل عنهما لسبب ما.

. **الأخطار الخارجية ذات الصلة بالعدوان:** كالإنذارات بالاقتحام والتهديد والقتل وأعمال العنف والاعتداء .

. **انفعال الأهل وعدم تمكنهم من التعامل مع صدمة الحرب بشكلٍ واعٍ:** يبدو أن قدرة الطفل على التعامل مع الأحداث تتوقف على النضج الانفعالي عند الأهل وقدرتهم على التكيف مع الظروف الصعبة.

إرشادات للوالدين

لمساعدة الطفل في التعافي من الصدمات النفسية في أزمنة الحروب

01 الوالدان عدسة الواقع

02 الإجابة عن تساؤلات الأطفال جميعها بصدق وروٍّ

03 مشاركة الأطفال حيرتهم حين يشعرون بالارتباك والتوتر

04 إتاحة فرص اللعب

05 العناية بالتواصل والتعبير عن المخاوف

06 حكي القصص

07 الموسيقى

08 الرسم

09 تحمل المسؤوليات

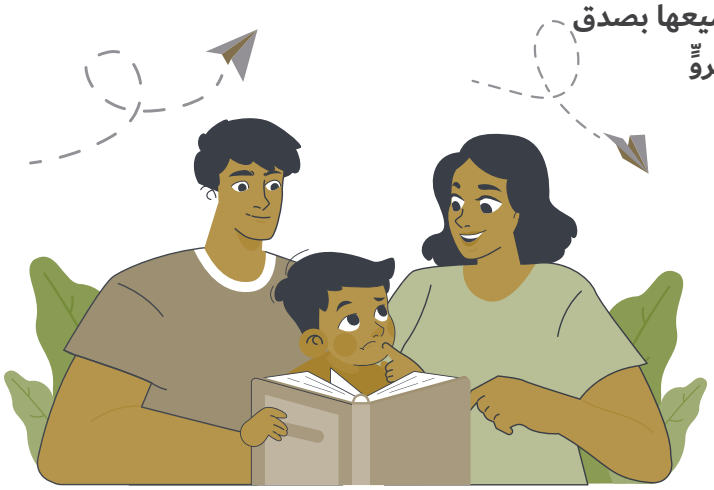

. انعدام التواصل والحوار بين الطفل والأهل: لقد تبين أن التحدث عن الصدمة وتعبير الطفل عن مخاوفه ومشاعره يساعدان على فهم الصدمة والتعامل معها ؛ على العكس من التزام الأهل الصمت والحذر.

. المشكلات النفسية عند الطفل قبل الحرب: وذلك بسبب ظروفه العائلية والنفسية غير الملائمة كالحرمان، والشعور بالنبذ، والمشكلات السلوكية.

. قوة الصدمة وطبيعتها: الأطفال الذين تعرضوا للاعتداء والتدمير ومشاهد الجرحى والموتى ورؤية الجثث الممزقة، يعانون اضطراب ما بعد الصدمة بصورة أشد مقارنة مع رفاقهم الأقل تعرضًا.

إرشادات للوالدين؛ لمساعدة الطفل في التعافي من الصدمات النفسية في أزمنة الحروب

عزيزي الأب/ عزيزتي الأم، ساعدا طفلكما على التعامل مع صدمة الحرب من خلال:

الوالدان عدسة الواقع: الطفل يفقد توازنه النفسي نتيجة خوفه من المجهول، وعدم درايته لما يجري حوله؛ مما يفرض على الأهل ضرورة توفير المعلومات، وتصحيحها؛ لمساعدة الطفل في فهم الواقع؛ والتعامل معه، وتحصينه في الظروف الصعبة المتوقعة.

الإجابة عن تساؤلات الأطفال جميعها بصدق وتروٍّ، والحوار مع الطفل لدعمه في رؤية الواقع بشكل نقدي عقلاني لا عاطفي.

مشاركة الأطفال حيرتهم حين يشعرون بالارتباك والتوتر والبحث عن سبل للحل معًا؛ مما يعزز ثقة الطفل بذاته وبالوالدين ومصداقيتهما معه.

إتاحة فرص اللعب: يُعد اللعب والحركة وعنصر الخيال أدوات التعافي الأساسية للطفل الذي يعاني صدمة، فاللعب يساعد على التعلم المباشر وغير المباشر، والتنفيس الانفعالي، والتطهير الانفعالي، والتعلُّق، وتحسين العلاقات، والتعاطف، والقوة - السيطرة، والتعويض بالخيال؛ مثل: تمثيل الأدوار، واللعب بالدمى، والألعاب الحركية والرياضية، وألعاب الخيال، وألعاب التركيز والانتباه.

العناية بالتواصل والتعبير عن المخاوف: فالتنفيس عن المشاعر ضرورة من أجل التحرر من المشاعر السلبية وعدم كبتها؛ من خلال تشجيع الطفل على قول ما يخطر في باله من مشاعر أو أفكار متعلقة بالحدث الصادم؛ ومن أمثلة موضوعات الحوار: الأوهام، والأحلام المزعجة، والتغيرات الطارئة على حياة الطفل اليومية.

حكي القصص: فالقصص تنمي خيال الطفل، وقدرته على الإبداع والابتكار، وتمكنه من تذوق الجمال، وتثري حصيلته اللغوية، وتُعين الطفل في الغوص في الخيال ثم العودة إلى الواقع بعد تفريغ قلقه ومخاوفه ورغباته من دون الحاجة إلى الوقوع أسيرًا لها.

الموسيقى: إن الموسيقى تهدئ، وتزعج، وتنشط، وتحفز، وتحبط، وتلهم، فهي تؤثر مباشرة على عواطف وجسد وفكر الطفل من خلال اللحن والإيقاع، كما تُعد آلية مفيدة للتعبير عن المشاعر.

الرسم: إن الرسم الحر عند الأطفال الذين تعرضوا للأحداث الصادمة الناتجة من الحروب والنزاعات المسلحة ، يعكس مشاعرهم المكبوتة والتي لا يجرؤون على البوح بها أمام الآخرين.

تحمل المسؤوليات: والذي يهدف إلى تعزيز الثقة بالنفس عند الطفل من خلال تحمله المسؤوليات المناسبة لعمره.

نصائح للمعلمين، وقادة المدارس؛ لتهيئة بيئات تعليمية مُحفزة للتعافي من الصدمة

عزيزي المعلم/ عزيزتي المعلمة ، إليكما عددًا من الممارسات التي تعينكم على تهيئة بيئة تعليمية مقاومة للصدمات:

. حافظ على الروتين المعتاد في محاولة للعودة إلى الحياة الطبيعية؛ لتخبر الأطفال أنه آمن وأن الحياة ستستمر.

. امنح الأطفال الخيارات؛ نظرًا لأن الأحداث الصادمة ترتبط بفقدان السيطرة، والفوضى؛ لذلك يمكنك مساعدة الأطفال على الشعور بالأمان من خلال إتاحة بعض الخيارات أو إعلاء سلطتهم عند الاقتضاء.

. احرص على زيادة مستوى الدعم والتشجيع المقدم للطفل الذي يعاني اضطرابًا شديدًا، من خلال الاستعانة بمختص؛ لتقديم دعم إضافي.

. ضع حدودًا واضحة وثابتة للسلوك غير اللائق وشارك الأطفال في وضع عواقب منطقية وعادلة.

نصائح للمعلمين، وقادة المدارس
لتهيئة بيئات تعليمية مُحفزة للتعافي من الصدمة

01 حافظ على الروتين المعتاد في محاولة للعودة إلى الحياة الطبيعية

02 امنح الأطفال الخيارات

03 احرص على زيادة مستوى الدعم والتشجيع المقدم للطفل الذي يعاني اضطرابًا شديدًا

04 ضع حدودًا واضحة وثابتة للسلوك غير اللائق

05 اعلم أن المشكلات السلوكية قد تكون عابرة وذات صلة بالصدمة

06 خصص وقتًا ومكانًا للطفل للحديث عن تجربة الحرب

07 قدم إجابات بسيطة وواقعية لأسئلة الطفل حول الأحداث المؤلمة

08 كن حساسًا للإشارات الموجودة في البيئة والتي قد تسبب رد فعل لدى الطفل المصاب بصدمات نفسية

09 حذر الأطفال إذا كنت ستفعل شيئًا ذا صلة بالصدمة

10 توقع الأوقات الصعبة وقدم دعمًا إضافيًا

. **اعلم أن المشكلات السلوكية قد تكون عابرة وذات صلة بالصدمة**؛ لذا تذكر أن السلوكيات الأكثر إزعاجًا يمكن أن تكون مدفوعة بالقلق المرتبط بالصدمة.

. **خصص وقتًا ومكانًا للطفل للحديث عن تجربة الحرب**، فلا بأس من التحدث والرسم والتعبير الكتابي عما حدث.

. **قدم إجابات بسيطة وواقعية لأسئلة الطفل حول الأحداث المؤلمة**؛ لتصويب المعتقدات والمفاهيم الخطأ.

. **كن حساسًا للإشارات الموجودة في البيئة والتي قد تسبب رد فعل لدى الطفل المصاب بصدمات نفسية**؛ مثل: الأصوات المرتفعة وصافرات الإنذار؛ لأنها قد تثير الشعور بالخوف والتوتر؛ نظرًا لارتباطها بأصوات المدافع والإنذار بالقصف.

. **حذر الأطفال إذا كنت ستفعل شيئًا ذا صلة بالصدمة**، مثل إطفاء الأنوار أو إصدار ضوضاء عالية مفاجئة.

. **توقع الأوقات الصعبة وقدم دعمًا إضافيًا**؛ حيث إن بعض المواقف تُعد بمثابة تذكير؛ من خلال تهيئة الطفل للموقف؛ مثل: الحديث عن إصابات أو وفيات قد تتسبب في إعادة الصدمة للطفل.

في الختام...

إن عالم الأطفال مليء بالحياة، والعفويّة والطاقة؛ مما يجعل إرادة العيش لديهم أقوى من أي ظرف صعب، ولكنهم بحاجة للتفهم، والتعاطف، والتقبل غير المشروط، حيث تتجلى فيهم كل صور الإرادة الحقيقية للحياة، فبرغم معاناتهم وهول الأحداث التي مروا بها؛ فإنهم قادرون على تجاوز كل هذه الآلام والصعوبات إذا أُتيحت لهم الفرصة للصراخ، والغضب، وتحطيم الأشياء التي يرمزون بها للمتسبب في معاناتهم، وليعبروا عن تجربة الترويع والنزوح والتجويع والفقد، وليضمدوا جروحهم النفسية بالابتسامة والغناء والرقص واستدعاء عمر كانوا يشعرون فيه بقدر أكبر من الأمان.

أهّلوا أطفالكم لممارسة حرية الرأي والتعبير

تجربة حية لجمعية أصدقاء **أحمد بهاء الدين**

د. أحمد مصطفى علي حسين
دكتوراه في الإعلام، ومدرب، وكاتب عضو
اتحاد كتاب مصر

تحرير الطفل من الثوابت والتقليد والتلقين يرتبط بممارسته لفنون الإبداع، كالموسيقى والسرد القصصي والمسرح وغيرها، خصوصاً إذا أتيحت المساحة اللازمة لخياله الجامح ؛ ليزداد نمواً عبر استيعاب رغباته الكبيرة في الحركة والابتكار والخلق والتجديد.

> الطفل لديه القدرة على التحرير والتفكير والتحليل واستيعاب المعلومات بشكل أكبر من الكبار

ويمكن أن يتضمن ذلك فنون التحرير الصحفي، كما يجب أن تكون هذه حال مختلف الفنون التي يتم تدريب الطفل عليها.

أما فيما يخص فنون الصحافة، فهذا لأنها في حقيقتها وبطبيعتها نقدية وفكرية، ويمكن أن تعمل على تنمية شعور الطفل بالمسؤولية والضمير، والقدرة على التحليل والتقييم لما يحيط به من عوالم، وهذه الأمور تحدث حين نترك للطفل المساحة الكافية ليتصدى لما يواجهه أو يواجه مجتمعه من مشكلات أو معاناة.

هذا الأمر لا يمكن حدوثه إلا إذا خرجنا عن منطق جعل المقالة وكأنها موضوع تعبير ضمن مقررات اللغة العربية لتصوير محبته ومشاعره تجاه الأم والأب والوطن، فرغم أهميتها فإن مهمة الكتابة الصحفية في حقيقتها هي حب الوطن، من خلال التصدي للخطأ وانتقاد الشائع والموروث، والكشف عن خفايا الشكل الجميل والمنظم.

في الحقيقة لم أكن أتخيل يومًا أن ذلك يمكن حدوثه لأطفال المرحلة الابتدائية بقرى صعيد مصر، حيث التربية التقليدية الخشنة، والمدارس النظامية الصلبة، وأيضًا الخوف والفزع بوصفهما من المشاعر الطبيعية وسط بيئة الثأر والعنف وانتشار الأمية والفقر، فضلاً عن التاريخ الطويل للتهميش الذي عانته مجتمعات الصعيد، وجعل الحرمان ميراثها الخالد.

لكن، حدث ذلك، وعملت مدرباً لأطفال المرحلة الابتدائية بقرى صعيد مصر، ولم يكن ذلك ليحدث لولا ثقة مسؤولي تلك الجهات التي قررت الاستعانة بي، وحتمت الاستعداد لتلك المهمة، وخوض تحدياتها، واستمرت تلك المهمة مع **«جمعية أصدقاء أحمد بهاء الدين»** في مركزها الثقافي بقرية «الدوير» بمحافظة أسيوط، وعلى مدار سنوات عديدة ماضية وإلى الآن؛ إذ من ضمن أنشطة الجمعية إعطاء الفرص والمنح المجانية لمن يرغب من طلاب المدارس في تعلم فنون الصحافة كغيرها من الرسم والموسيقى والفنون الشعبية والمسرح والأدب، وبالتالي كانت مهمة تأهيل الأطفال لكتابة المقالات والتحقيقات والتقارير والأخبار، بهدف تنمية قدرات الطفل على ممارسة حرية الرأي والتعبير.

ولعل شغف الجمعية التي أسسها أصدقاء وأسرة الكاتب الراحل الكبير أحمد بهاء الدين في ذلك ؛ لكون الكاتب العملاق أحمد بهاء الدين (1927 – 1996م) تشكلت معالم هويته في الفكر والكتابة منذ كان طفلاً، فقد كان نهماً للغاية إلى المطالعة، بل إنه بدأ مراسلة الصحف ونشر مقالاته منذ كان طالباً، فأخذت موهبته حقها في الرعاية في أثناء الطفولة، وأخذت أفكاره في الانطلاق والتكوين

> الإبداع هو جوهر الكتابة الصحفية لكونها تتعلق بإعادة استكشاف الواقع والكشف عما نجهله

بلا حدود، بفضل مناخ تربوي أتاحه الأب والأخوات بعد الرحيل المبكر للأم، كذلك احتضان كبرى المجلات المحترمة لمقالاته التي كان يرسلها وهو طالب.

وبهذا حصد الوطن العربي نجماً مزدهراً تشرق به شمس الأمل والتحضر، حيث عاش لأجل التحرر والعروبة وقضايا المهمشين، وناضل في سبيل العلم والبناء والتحضر ورفع الوعي والانتماء ومواجهة الفساد وقضايا الإصلاح السياسي والاجتماعي والبيئي والقانوني وغيرها، ومن ثم تحرص الجمعية على برامج تنمية مهارات الكتابة للطفل ضمن أهدافها.

المهمة الصعبة

ينطوي ذلك على تعلم الطفل ممارسة فنون الصحافة، ككتابة المقالات والأخبار والتحقيقات، وفي الوقت ذاته التربية الإعلامية المعنية برفع قدرة الطفل على عدم الإيمان بشكل مطلق بما يتم بثه أو نشره في وسائل الإعلام أو وسائل التواصل الاجتماعي أو الحياة اليومية العادية، لكن قياس مدى التوازن وعرض وجهات النظر والحياد والموضوعية وعمق التناول، ومنطقية المعلومات.

كانت المهمة صعبة لشخص مثلي يعتاد تدريب الشباب وهو الأمر بالغ السهولة، لأن فنون الصحافة تتطلب ثقافة وخبرة حياتية وشخصية قوية تستطيع بناء علاقات مع المصادر، إلى جانب متطلبات تحرير وصياغة موضوع صحفي جذاب، وما تفترضه من علاقة باللغة وتقاليد وقيم المجتمع، وفهم الجمهور المستهدف، إلى جانب الوعي بالقيم المهنية.

والمشكلة الأخرى، تتمثل في التفاوت الكبير بين المدارس النموذجية في العاصمة أو الإدارات المتميزة بعواصم المحافظات، وبين تلك المدارس الحكومية الموجودة في القرى البعيدة على هوامش وأطراف المحافظات الفقيرة، والتي عادةً لا يتم العناية بها بالشكل الكافي، ولا تجد الرعاية والاهتمام الذي يحظى به غيرها، إلى درجة ما هو معروف من تحقيقات صحفية منشورة لمدارس بلا مقاعد بتلك المناطق، ومن ثم غياب نشاط الإذاعة والصحافة المدرسية، وهي إن حدثت تكون مقصورة بشكل روتيني على تعداد خمسة طلاب بالمدرسة، ويمكننا ملاحظة النمطية في الصحافة المدرسية التي تتعلق بالموضوعات المقررة والموجهة كمناقشة التنمر المدرسي، أو إجراء حوار للتحدث عن الإنجازات المدرسية، أو الإشادة بدور المعلم، وكلها تقتل موهبة الطفل.

ومن هنا وإذا كان الإبداع هو جوهر الكتابة الصحفية لكونها تتعلق بإعادة استكشاف الواقع، والكشف عما نجهله، أو استكشاف الخطأ فيما نراه عاديًا، أو إضافة الجديد لما قتل بحثًا، أو الشجاعة في انتقاد الموروث المكرس للضعف، إلى جانب الموضوعية والتوازن في توضيح الجوانب المشرقة والمظلمة داخل كل صورة جميلة، لأن الكمال لله.

لذا فإن الصدمة الأولى تمثلت في أن الأطفال وعلى عكس الكبار لا تبهرهم المعلومات الكثيرة التي يفتخر بها أي مدرب، ويصيبهم الملل السريع حال وجود شرح توضيحي لأي فن من الفنون، أو للقيم المهنية، وتحدث المفاجأة حين تعقد اختباراً فجائياً فلا تجد مردود الساعات الطويلة المبذولة في إعداد المادة وشرحها وتبسيطها، وهو أمر لا يحدث مع الكبار نهائياً.

هنا، تتحتم معرفة أن استجابتهم مقرونة بخمسة أشياء، هي: اللعب والمشاركة الجماعية والقصص التي يتم توظيفها والمكافأة والرحلات، إلى

جانب الإكثار من الأساليب التدريبية المعنية باستثمار القدرات الفكرية والتحليلية، كالعصف الذهني، والمحاكاة والنماذج، والمناظرة بين طفلين حول موضوع صحفي، ولعب الأدوار، والمساءلة.

ومن المهم هنا، معرفة طبيعة الأطفال وثقافتهم، ولهذا قام صديقي الأديب شعبان المنفلوطي مدير المركز السابق، بممارسة إحدى الألعاب الحركية الملائمة لأطفال القرى، ليطالبهم بالوقوف حوله على هيئة دائرة، ثم يبدأ سرد قصة لشخص غامض لا أحد يعلم سبب متاعبه الصحية، ويطلب من كل طفل وطفلة أن يمثل اتجاهه ونظرته حين وقع صريعًا. بالطبع، على ألّا يعمد طفل إلى تكرار ما فعله الأطفال الآخرون في الصوت والحركة، وهنا كان كل طفل يجتهد ليفكر في طريقة لم ينفذها زميله حتى يتجنب خسارة اللعبة، ويضاف إلى ذلك الألعاب الشائقة المعروفة كالكرة وحل الألغاز، بل حتى ألعاب الكبار، كرسم عشرين دائرة وطلب تخيل ماذا يمكن أن تكون من أشياء كطوق وإطار سيارة وقمر...إلخ.

المشاركة الجماعية

أما المشاركة الجماعية، سواء في الممارسة التدريبية أثناء الورشة، أم ممارسة لعبة، فهي مفيدة للغاية، خصوصاً عندما يتم الدمج بين أطفال لا يعرفون بعضهم ؛ لأنها ستعمل على رفع مستوى الطفل الأقل، وكذلك تعمد إلى تنمية قدراتهم الشخصية، إلى جانب غرس سلوك التشاور واحترام الآخر، وبالطبع لا بد من أن يتابع المدرب التجاوزات ليضبطها. بينما يتعلق جانب تحضير أفكار القصص بمجالين؛ قصص جاهزة

وملائمة، وقصص يمكن استكمالها معًا، بمعنى السرد الجماعي للقصة.. على سبيل المثال؛ أبدأ سرد حكاية قط خرج للتنزه، ثم حدثت مفاجأة، وأترك لكل طفل أن يؤلف ما حدث من نسج خياله، ويكمل زميله ذلك، وببعض التعود يعتاد الطفل ألا يغلق القصة ويضيف إليها جانباً مشوِّقًا ومثيراً ومدهشاً.

في حين أن المكافأة التي ينتظرها الطفل لا تتجاوز قطعة حلوى ملونة، **«بنبونايـة جميلـة»**، وربما هي حال الطفل في كل مكان، ولكن ينبغي في الوقت ذاته محاولة التوسع بالمكافآت قدر الإمكان، إلى جانب وجود مكافأة للجميع، تشتمل من لم يشارك، وفي ذلك كان يتم توزيع أعداد من مجلة «العربي الصغير» الكويتية، لتضمنها محتوى مشوِّقًا وجذاباً يلائم الجميع، إلى جانب ثراء محتواها الفكري والثقافي.

وكان اللافت للنظر، أن الأطفال في القرى عادة لا تصل إليهم صحف الطفل، وبهذا استثمرنا توزيع أعداد من مجلة «العربي الصغير» لتحديد مدة أربعة أيام لقراءتها ومناقشتها، وبالفعل فوجئت بأن 90% نفذ المهمة وكانت بالنسبة إليهم فتحاً كبيراً، لأن الطفل يحب أن يذكر رؤيته التحليلية لمقالة أو قصة أو موضوع أعجبه، وبذلك تستهويه الكتابة بشكل أكبر.

أما الرحلات، فقد رأت «جمعية أصدقاء أحمد بهاء الدين» أن تكون مسايرة للتدريب، وبالتالي نظمت رحلة لتلفزيون شمال الصعيد بالمنيا، وهنالك انبهرت المخرجة والمذيعة بمستوى الأطفال وقدرتهم على الحوار والمناقشة، وفهمهم للإعلام رغم كونهم في المرحلة الابتدائية، واستمتعت بمواهبهم ومنها مواهب في الغناء أيضًا، فالفنون تتلاقى.

والأكثر دهشة بالنسبة لي، أن الأطفال لديهم استعداد كبير للغاية تجاه ممارسة فنون السرد الصحفي، بل لديهم قدرة عجيبة على اكتشاف الخلل في بيئاتهم المحلية أو انتقاد ما لا يعجبهم، أو التوصل إلى أفكار ربما لا يفكر فيها الصحفي الكبير، ويمكنك أن تندهش مثلي حين ترى طفلة تكتب لي عنواناً صحفياً لافتاً «محاكمة المحكمة» وذلك في احتجاجها على

حرية الرأي والتعبير حق أصيل للطفل وليست منة ولا فضلاً من أحد

ممارسة بيئية لم تعجبها تمت في إحدى المحاكم، أو تشاهد طفلاً آخر يكتب عن سوء تعامل التجار، أو حفر المشروعات القومية ومخاطرها على حياة البسطاء، أو الوساطة والفساد أو الاعتقاد بوجود العفاريت، أو مشكلات التنقيب بحثًا عن الآثار غير الموجودة، أو غياب الإنارة عن بعض المناطق، والبعض يكشف عن بيت له حكايات مهمة، وآخر يستهويه الترويج للسياحة، وطفل يتناول معاناة المزارع، وغيرها من أشياء.

ورأينا حجم قدرات الأطفال في التدريبات الميدانية، كما حدث أثناء مقابلة رئيس الوحدة المحلية أو مدير مركز التأهيل، فقد كان المسؤولون في غاية الانبهار من وجود أطفال يسألون ولا يكتفون بأخذ الإجابة المعطاة لهم، ولكن يتناقشون في الإجابة للتحقق من مدى شموليتها ومصداقيتها ودقتها، أي ما نسميه في الصحافة بالرغبة في الوصول للكتابة المتعمقة التي لا تجعلك تتساءل أو تبحث بعد القراءة، لأنها تستهدف الوصول إلى الحقيقة الكاملة وبشكل موضوعي. إلى درجة أن سكرتير الوحدة دمث الخلق، ورئيس الوحدة المحلية بشخصيته الجميلة والوَدُد أصرا على منح الأطفال أرقام هواتفهما الشخصية لإبلاغهما بأي خلل أو مشكلة، أي معاملتهم كأنهم صحفيون كبار، وفي حقيقة الأمر والمدهش أن الأسئلة هي «ابنة الأطفال» فلم يتم توجيههم، بناء على مستهدفات البرنامج التدريبي بأن نصل بالطفل إلى مرحلة الاستقلالية والوعي؛ أن يدرك الطفل طبيعة المسؤولية الصحفية والأسئلة التي يمكن توجيهها، فضلاً عن كيفية الوصول إلى هذه التساؤلات بالاستناد إلى أرقام أو وقائع أو مشاهدات حية ومتحققة لديهم، وليس بناءً على ما يثار أو يسمع أو يكتبه شخص في وسائل التواصل الاجتماعي، لأن الموضوعية تقتضي أن نحارب جاذبية ميولنا واهتماماتنا وانتمائنا لأجل الحق والوطن.

اجتماع صالة التحرير

وفي نهاية البرنامج التدريبي، عقدنا اجتماعات صالة تحرير كتلك التي لدى الصحف، بوجود مسؤولي مركز أحمد بهاء الدين الثقافي، وكانت المفاجأة أن الأطفال يستطيعون الدفاع عن الموضوعات التي يختارونها، ولديهم المقدرة بالفعل على النقد والتحليل والابتكار والإبداع، والأهم هو الإيمان بأن حرية الرأي والتعبير حق أصيل وليست منة ولا فضلاً من أحد.

أجبرنا الأطفالُ على أن نمنحهم نماذج للموضوعات الصحفية المتميزة بصحف الكبار، وأبهرنا الأطفالُ بما أنتجوه من عشرات الموضوعات الثقيلة والكبيرة بإبداع من الأيدي الصغيرة، ورغم ما بها من أخطاء لغوية فإنها تُغتفر في ظل واقع التعليم بالقرى، ومقارنة بعمر الأطفال أنفسهم، والأعجب أن الأطفال صاروا يطالبون بكتب متخصصة في الصحافة لقراءتها.

لقد صرت مؤمنًا بأن الطفل لديه القدرة على استيعاب المعلومات بشكل أكبر من الكبار، ولديه القدرة على التحرير والتفكير والتحليل بشكل يفوق الكثير من طلاب الجامعة، هذا إن أحسنا إعدادهم واستيعاب طبيعة مرحلتهم العمرية، إذ يجب أن يتخلل التدريب الألعاب والمكافآت والقصص والرحلات والمشاركة، فضلاً عن الأساليب التدريبية والزيارات الميدانية.

بهذا، وحال الاستمرارية والتكرار في كل مكان، يمكننا أن نحصد قدرات ومواهب جميلة يمكنها بالاستمرار أن تصنع مستقبلًا أجمل، وبمزيد من الرعاية يمكنها أن تصير أعلاماً في الفن أو الثقافة أو العلوم، فجميع الطرق بابها واحد؛ وهو الشخصية المبدعة والخلاقة القادرة على الاستقلالية والتحليل والتفكير بأنواعه، وربما لمؤسسات التنشئة والثقافة والمدارس دور بالغ الأهمية في العناية بذلك.

اضاءات من حياة هذا الكاتب الكبير

عبدالتواب يوسف.. شجرة مصرية منتصرة

كان يعيش لهدف واحد هو إيجاد النص الأدبي السهل العميق

ا.د. محمد أبو الخير
أستاذ بأكاديمية الفنون - مصر

اقتربت كثيراً من الكاتب عبد التواب يوسف، وكنت مبهوراً بما يحقق من نجاحات في مجال أدب الأطفال، جعلت منه شخصية فريدة بين شخصيات مصر والعالم العربي على المستويين الأدبي والإنساني. حينما نتأمل إنتاجه الغزير سوف يتضح لنا كيف يبني الأديب مجده الأدبي، كيف يبني سيرته الذاتية، كيف ينفق جهده لبناء نفسه بثبات وقوة مشحوناً بقيم الحق والخير والجمال، ويسير غير عابئ نحو هدفه يكتب ويناقش ويحاور بروح الفارس. وهو في كل أعماله كاتب ينتمي إلى عقيدة، ومجتمع، ووطن، وقيم سامية، يعمل على توصيلها في عذوبة إلى نشء مصر وعالمنا العربي. إن عبد التواب يوسف كان يعيش لهدف واحد هو إيجاد النص الأدبي السهل العميق الذي يصل مباشرة إلى قلب الطفل العربي. إن حياة هذا الكاتب هي إضاءات نور معرفية، حاولت أن أتأمل هذه الإضاءات لعلها تطرح بشعاع ضوء ينير طرقاً جديدة.

> آمن بأن التراث ليس متحفاً، ويجب أن نعيش بالأصالة والمعاصرة

الإضاءة الأولى

سلاماً وتحية عطرة إليك عبر الأثير، رائدَ أدب الأطفال في مصرنا الحبيبة وعالمنا العربي، عبد التواب يوسف (1928-2015)، أيها الشجرة المنتصرة، أيها الأب الروحي الذي تعلمنا في مكتبة بيته العلم القيم، هذه المكتبة التي تُعد من أكبر المكتبات الشخصية في مجال الأطفال، وتعلمنا من سلوكه الخلق الرفيع. ماذا أقول والكلمات عاجزة عن التعبير عن مكنون النفس تجاه شخصكم المنارة، نعم منارة باسقة في سماء مصرنا الغالية، تشع ألوان طيف متلألئة بقيم الحب للبناء والتنوير للأجمل والأفضل، أنت الشخصية العصامية التي تحلق دائماً في العالم لكي تبحث عن كل ما هو جديد في الثقافة بشكل عام، ومجال ثقافة الطفل بشكل خاص.

الإضاءة الثانية

لقد أعجبتني قصة **«الشجرة المنتصرة»** للكاتب المبدع عبد التواب يوسف، إنها أيقونة من كتاباته المبتكَرة، ولشفافية وجمال الموضوع، أعدتها في قالب المسرحيةوكان ذلك في فصل من موضوع رسالتي لدرجة الماجستير بالمعهد العالي للفنون المسرحية بأكاديمية الفنون، وهي توضح – في بساطة – حكاية

د. زهيرة الحاصلة على دكتوراه في علم الأشجار، وكيف بدأت حبها للشجر والخضرة والنماء منذ كانت طفلة صغيرة في القرية، ثم هجرتها لتعيش في المدينة مع أبيها، وكيف دخلت معركة كافحت فيها من أجل الإبقاء على شجرة الميدان، وانتصرت. إنها فكرة إدراك الجمال والإحساس به، بل المحافظة عليه، فكرة أن نُبقي على كل ما هو أخضر، نحترم الجمال في الطبيعة، في الأشجار، هذا إلى جانب قيم أخرى متضمنة كقيمة احترام العمل، والوقت، وتقدير آراء الآخرين، إلا أن هذه الفكرة لها الصدارة البارزة. وهكذا ينتصر الكاتب للخضرة، لقيم الحق والخير، ينتصر لأطفال المستقبل، وأراه يتحدث بلسان د. زهيرة العالمة القوية، وأراه أيضاً كشجرة عملاقة على ضفاف النيل ترتوي من مائه العذب، لكي تنشر عبيرها الفواح، وتنتج أجود الثمار، وتظلل بأوراقها كل المتعبين والحائرين، تقف بصبر شامخة ضد أعاصير الرياح، هذه الشجرة تحمل روح البطولة والشجاعة والمغامرة.

الإضاءة الثالثة

يؤمن عبد التواب يوسف بأن التراث ليس متحفاً، يؤمن بأننا يجب أن نحيا بالأصالة والمعاصرة، لذلك فهو يذهب إلى التراث سواء كان هذا التراث عربيا أو عالمياً ، هو يتناول حكايات التراث، ويعالجها معالجة فنية في داخل العمل الأدبي، سواء قصة أم مسرحية أم أي شكل فني آخر، بحيث تخرج إلينا حية نابضة بروح عصرنا، طارحة فيما يجب أن نحافظ عليه ونتمسك به، كل ذلك في مزيج واحد كالروح والجسد لا انفصال بينهما. وعلى سبيل المثال ، في سلسلة مسرحياته **«جحا والحذاء الهارب»** ، **«جحا والقدرة المتكلمة»** ، **«جحا وشجرة الأرانب»** ، **«جحا وأمطار النقود»** نجد البيئة المسرحية تدور أحداثها في بيئة عربية بها مآذن وقباب، وأيضًا الملابس التي ترتديها الشخصيات ملابس عربية، وهي في الوقت نفسه تتحدث عن مضامين شديدة المعاصرة مثل التفكير العلمي، الإنتاج، التخصص...إلخ. ما أجمل أن يسعى كل من يحب الطفولة إلى أن يتناول التراث من منظور عصريّ.

المسرح عنده كان أداة فعل وعمل وتطوير وتغيير

الإضاءة الرابعة

كان عبد التواب يوسف يدرك أهمية المسرح بوصفه أداة فعل وعمل وتطوير وتغيير، تغيير العالم الداخلي للإنسان، وتغيير العالم الخارجي أيضًا، تغييراً تسانده بيئة صالحة لحياة أفضل وأجمل. وكان يدرك أيضاً أن «أزمة المسرح العربي تكمن في أن الأجيال التي تشاهده لم تتدرب في طفولتها على تذوق الدراما، وعلى كشف روعتها وسحرها؛ لذلك لا تحفل كثيراً بالأعمال التي تقدم، والتي تلقى في الخارج إقبالاً منقطع النظير. والأجيال الجديدة في مسيس الحاجة إلى الإحساس بهذا الفن والتدريب على التمتع به، لتنمو معهم الرغبة في متابعته» من هذا الوعي أخذ على عاتقه إرساء قواعد مسرح الطفل بأساليب عدة، منها الترجمة، والتأليف، والأبحاث، ومتابعة المؤتمرات العلمية في الداخل والخارج، والمقالات، والتنقيب والكشف عن الأعمال المسرحية عند الرواد؛ تقديراً ووفاء لإسهاماتهم. وعلى ذلك قدم أعمالاً متنوعة فترجم **«الحذاء الأحمر»** للكاتب النرويجي هانز كريستيان أندرسون، وقدّم **«عم نعناع»** وسلسلة مسرحيات **«جحا»** ومسرحية **«كاف تاء ألف باء»**، وسلسلة المسرح المدرسي التي تقدم مسرح الخيال العلمي بأسلوب جذاب في مسرحية **«كوكب صغيرون»** و**«كوكب النبات الأخضر»**. يقدم هذه المسرحيات بجمال وسلاسة اللغة العربية، ووضوح البيئة المكانية والزمانية، وهندسة بناء الأحداث والشخصيات، وروح الفكاهة والمتعة مع القيم المستنيرة السامية، كما أنه اكتشف لنا مسرح الهراوي.

الإضاءة الخامسة

عبد التواب يوسف موهبة مبدعة يمكنها أن تلتقط الومضات من الأحداث، بل من الهواء وتحولها إلى عمل إبداعي للأطفال في أشكال مختلفة؛ قصة، مسرحية، برنامج إذاعي، مقالة. هو شخصية فريدة، وتفردها من كونه مدركاً أن العمل بدأب النحل هو السبيل إلى تحقيق ما تريد، تتسم كتاباته بالوعي بالمراحل العمرية للطفولة فكانت اللغة والموضوعات وطريقة وأسلوب المعالجة تتناسب مع القدرات العقلية والنفسية لجمهور القراء. لا أذكر أن الرائد عبد التواب يوسف ذهب إلى مؤتمر، ولا مهرجان، ولا لجنة أو اجتماع إلا وهو مستعد ومعه مجموعة من المشروعات المتنوعة والمبتكرة. لا يكف عن العمل في الكتابة للأطفال إيماناً بأنهم جيل الغد، ولا أنسى صوته الذي يرن في روحي **«هناك دول تتسابق إلى تنمية أطفالها أكثر من تسابقها إلى التسلح النووي»**، وكلما اقتربت منه، وجدته نموذجاً تنحاز إلى فكره متمثلاً أسلوبه ومثابرته، وتتمنى اقتفاء أثره. أدين له بالفضل، فقد رأيت فيه روح المستقبل.

الإضاءة السادسة

وعلى مدار ثلاثة عقود من معرفتي بالرائد عبد التواب يوسف، سواء في مشاركة في لجان بالمجلس الأعلى للثقافة، واليونسكو، ومكتبة الإسكندرية، والمسرح القومي للأطفال، ووزارة الشباب والرياضة، ومؤتمرات جامعية، يظل الرائد عبد التواب يوسف منارة باسقة تطرح قيم الأصالة والمعاصرة في تناغم من خلال أعماله التي تقترب من ألف كتاب، وآلاف البرامج الإذاعية، ومئات المقالات، وعشرات رسائل الماجستير والدكتوراه التي تحلل مضمون أعماله الأدبية وتأثيره

أخذ على عاتقه إرساء قواعد مسرح الطفل

في الطفل المصري والعربي، وكان لي شرف المناقشة والإشراف على العديد منها، إنها بمثابة بذور مضيئة لمشروعات بحثية علمية نحتاج إليها في وطننا العربي.

الإضاءة السابعة

ولأن جهده مخلص متميز؛ كانت الجوائز تذهب إليه. ومن أبرز الجوائز التي حصل عليها جائزة معرض بولونيا الدولي عن كتاب **«حياة محمد في عشرين قصة»**، وجائزة الدولة في أدب الأطفال 1975، مع وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، وجائزة اليونسكو لمحو الأمية في العام نفسه، وجائزة أحسن كاتب للأطفال 1998، مع وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، وجائزة الدولة التقديرية في أدب الأطفال 1981م، مع وسام الجمهورية من الطبقة الثانية، والميدالية الذهبية من اتحاد الإذاعات العربية، وجائزة الملك فيصل العالمية لأدب الأطفال.

الرائد عبد التواب يوسف شجرة منتصرة بتواضعه وعطائه وكرم ضيافته، وبالأجيال التي أثر فيها بكل ما هو جيد ومتميز. هذا الرجل شجرة منتصرة بأسرته الصغيرة المرموقة د. لبنى أستاذة الأدب الإنجليزي، والسفير هشام، والأديب الشاب عصام، وأسرته الكبيرة من الكتّاب والأصدقاء والزملاء في مصر والعالم العربي كرمز للتنوير الوطني، ومن هنا تظل روحه «شجرة منتصرة» على نيل مصر تزهر على العالم.

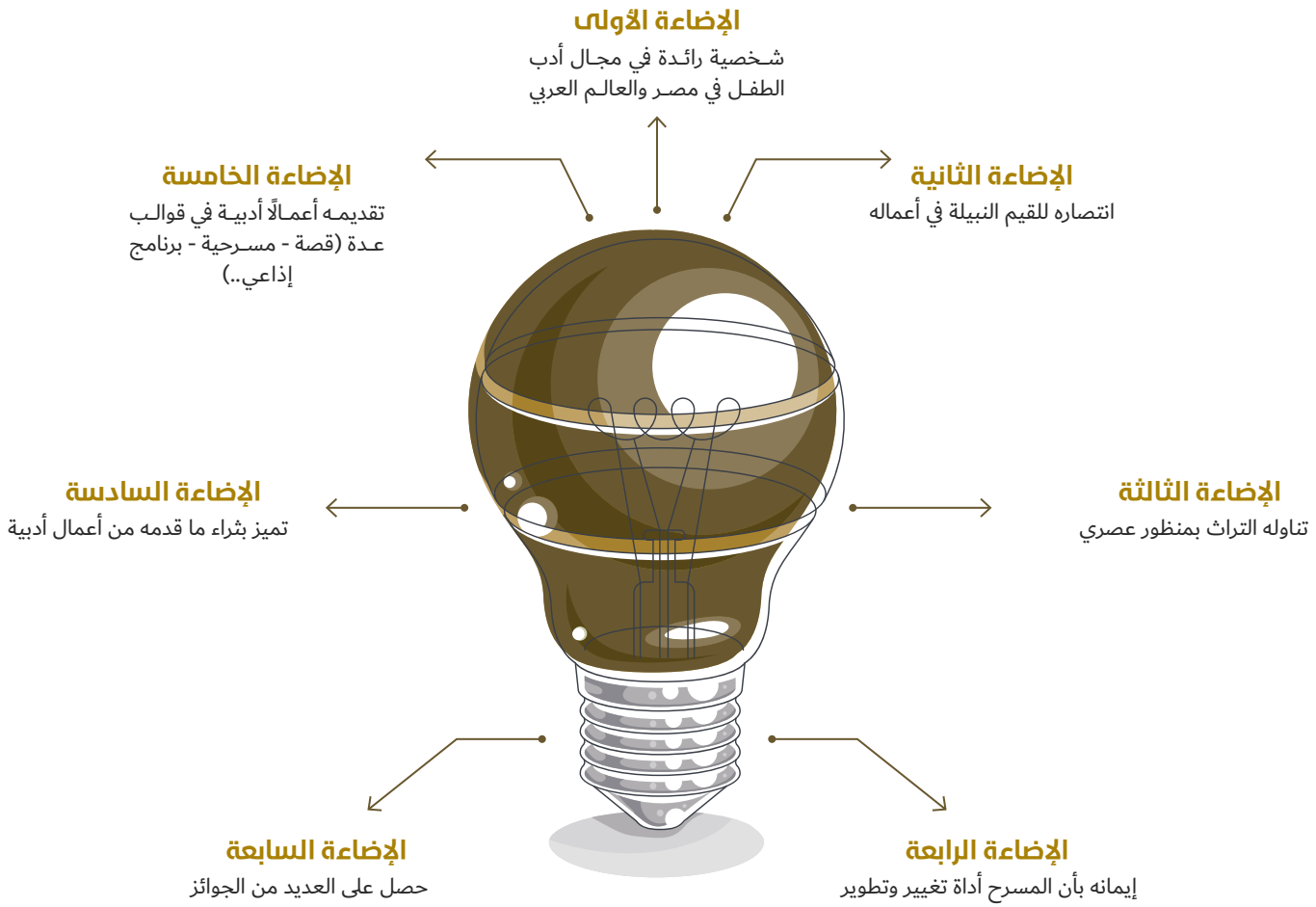

في تقرير «يونيسف» عن حالتهم لعام 2024:

كيف نصنع مستقبلًا تتحقق فيه حقوق أطفال العالم؟

عرض: أ.د. خالد صلاح حنفي
أستاذ التربية - جامعة الإسكندرية - مصر

تصدر منظمة الأمم المتحدة للطفولة «يونيسف» UNICEF سلسلة من التقارير السنوية حول حال الطفولة والأطفال على المستوى العالمي، ورصد وتحليل قضايا ومشكلات الطفولة؛ بهدف توفير البيانات والمعلومات للدول والحكومات والمسئولين والباحثين من مختلف أنحاء العالم. وقد رصد تقرير المنظمة الصادر في عام 2023م تعرض حقوق الأطفال لاعتداءات في جميع أنحاء العالم، ومعاناة الأطفال الذين يعيشون في مناطق النزاع، والذين يزيد عددهم على 450 مليون طفل، وانتهاك حقوقهم أو حرمانهم منها. ومما يزيد من سوء الأمر أن نزاعات جديدة وأخرى ممتدة منذ مدة طويلة تزامنت في عام 2023 مع أزمات وكوارث وحالات طارئة في الصحة العامة. كما يستمر تغير المناخ في التسبب بالدمار لهذه الأرواح اليافعة ؛ إذ يؤدي إلى حالات جفاف شديدة وموجات حر وعواصف أكثر حدّة.

> الاتجاهات الديمُغرافية ستشكل اليوم أنماط السكان في المستقبل

ويكتسب تقرير عام 2024 أهمية خاصة، نظرًا لازدياد وطأة تلك التحديات والتغيرات الكبرى التي تواجه العالم على نحو متزايد، ما بين تحديات تقنية، وجيوسياسية، واجتماعية وثقافية، ومناخية، وتصاعد أحداث الحروب والصراع في مناطق مختلفة في العالم.

يهدف تقرير حالة أطفال العالم لعام 2024 إلى عام 2050 إلى الإجابة عن السؤال المطروح بقوة: كيف يمكننا تأمين مستقبل تتحقق فيه حقوق جميع الأطفال، وعالم يحيا فيه جميع الأطفال ويزدهرون ويحققون إمكاناتهم بالكامل؟

ويتضمّن تقرير **«حالة أطفال العالم لعام 2024: مستقبل الطفولة في عالم متغيّر»** توقعات حول الكيفية التي ستؤثر فيها ثلاث قوى عالمية رئيسة - أو توجهات كبرى - في حياة الأطفال بحلول عام 2050 وبعده. وتوفّر هذه التوجهات الكبرى - وهي التحول الديمغرافي، والأزمات المناخية والبيئية، والتقانات الرائدة - إشارات رئيسة حول التحديات والفرص التي قد يواجهها الأطفال في المستقبل.

ويرى التقرير أن الاتجاهات الديمُغرافية ستشكل اليوم أنماط السكان في المستقبل. وسيحدد الكربون الذي نسكبه اليوم بغزارة في الغلاف الجوي معالم مناخ الغد. وستؤثر التقنيات التي نطورها ونتحكم فيها اليوم على طرق تعلم الأجيال المقبلة وعملها وتواصلها ، وأيضاً في صحة وعافية الأطفال لسنوات طويلة.

ويتوقّع معدو التقرير أن يجابه الأطفال مستقبلاً يحفل بالتحديات بحلول عام 2050، في عالم تستشري فيه الأزمات المناخية الشديدة والتغيّرات السكانية وأوجه التفاوت في التقنيات الحديثة، وستكون الطفولة على المحكّ، إلا إذا اتُّخذت إجراءات مستعجلة لحماية مستقبل الأطفال في العالم.

وقد تناول هذا التقرير الذي يقع في 75 صفحة العوامل الثلاثة السابقة وتداعياتها على النحو الآتي:

أولاً: الأزمات المناخية والبيئية والطفولة

يعاني الأطفال عددًا كبيرًا من الأزمات، من الصدمات المناخية إلى الأخطار على شبكة الإنترنت، ومن المتوقع أن تشتدّ هذه الأزمات والأخطار في السنوات المقبلة. وتُظهر التوقعات الواردة في هذا التقرير أنَّ القرارات التي يتخذها قادة العالم اليوم - أو يخفقون في اتخاذها- ستحدِّد طبيعة العالم الذي سيرثه أطفالنا. وتتطلب إقامة مستقبل أفضل في عام 2050 أكثر من مجرد التخيّل:

«حالة أطفال العالم لعام 2024: مستقبل الطفولة في عالم متغيّر»

المؤلف: منظمة الأمم المتحدة للطفولة «يونيسف»

تاريخ النشر: نوفمبر 2024م

عدد الصفحات: 75

رابط الكتاب:

إذ تتطلب العمل. وقد بات التقدّم الذي تحقق على مرّ عقود، خصوصاً للبنات، مهدداً».

إنَّ أزمة المناخ هي أزمة رهيبة حالياً، إذ كان عام 2023 هو العام الأكثر سخونة؛ فوفقاً للتقرير، من المتوقع أن تصير الأزمات المناخية والبيئية في العقد 2050–2059 أكثر اتساعاً، وسيزداد عدد الأطفال المعرضين لموجات الحَرّ الشديد بمقدار ثمانية أضعاف، كما سيزداد عدد الأطفال المعرضين للفيضانات النهرية الشديدة بثلاثة أضعاف، وسيزداد عدد الأطفال المعرضين لخطر حرائق الغابات الشديدة بمقدار الضعفين، وذلك بالمقارنة مع العقد الأول من هذا القرن.

وستتحدد كيفية تأثير هذه المخاطر المناخية في الأطفال حسب أعمارهم، وأوضاعهم الصحية، وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية، وقدرتهم على الوصول إلى الموارد. فمثلاً، تتوافر فرصة أفضل للنجاة من الصدمات المناخية للطفل الذي تتاح له إمكانية الوصول إلى مأوى قادر على تحمل الظروف المناخية، وللتبريد، والرعاية الصحية، والتعليم، والمياه النظيفة - بالمقارنة مع الطفل الذي لا تتاح له هذه الإمكانات. ويؤكد التقرير الحاجة الملحة للقيام بإجراءات بيئية موجّهة لحماية جميع الأطفال وللحدّ من الأخطار التي يواجهونها.

ثانياً: التحولات الديمُغرافية والطفولة

هناك مجموعة من العوامل المرتبطة بالسكان، والتغيرات السكانية (الديمُغرافية) والتي تنعكس بصورة أو بأخرى على الطفولة، فعلى سبيل المثال – لا الحصر: من المتوقع أن تضمّ منطقة أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى ومنطقة جنوب آسيا أكبر تعداد سكاني من الأطفال في العقد الذي يبدأ بعام 2050، كما تشير التوقعات إلى ازدياد معدلات السكان المسنين، إذ من المتوقع أن يتناقص عدد الأطفال في جميع مناطق العالم. وبينما ستظل نسبة الأطفال من مجموع السكان عالية في أفريقيا، ستنخفض إلى أقل من 40 بالمائة، ما يمثل تراجعاً عن نسبة الـ

50 بالمائة التي سجلتها القارة في العقد الذي يبدأ بعام 2000. وستنخفض النسبة إلى أقل من 17 بالمائة في شرق آسيا وأوروبا الغربية، حيث شكّل الأطفال نسبة 29 بالمائة و20 بالمئة، على التوالي، في العقد الذي يبدأ بعام 2000.

وستخلق هذه التحوّلات الديمغرافية صعوبات، حيث ستواجه بعض البلدان ضغوطاً لتوسيع الخدمات لأعداد كبيرة من الأطفال، بينما ستسعى بلدان أخرى إلى تحقيق توازن بين الخدمات المخصصة للأطفال وبين احتياجات العدد المتزايد من المسنين.

سوف يجابه الأطفال مستقبلاً يحفل بالتحديات بحلول عام 2050

ثالثاً: التطورات التقنية والطفولة

يقرّ التقرير بأنَّ التقنيات الرائدة - كالذكاء الاصطناعي - تنطوي على وعود وعلى مخاطر للأطفال، فهم بدءُوا فعلاً التعامل مع الذكاء الاصطناعي المُدمج في التطبيقات الرقمية، والدُّمى، وبرامج المساعدة الافتراضية، والألعاب الرقمية، وبرامج الحاسوب التعليمية. بيد أنَّ الفجوة الرقمية تظل كبيرة. ففي عام 2024، كان أكثر من 95 بالمائة من السكان في البلدان المرتفعة الدخل على اتصال بالإنترنت، بالمقارنة مع نحو 26 بالمائة من السكان في البلدان المنخفضة الدخل.

ويشير التقرير إلى أنَّ نسبة كبيرة من الشباب في البلدان المنخفضة الدخل والبلدان المتوسطة الدخل يواجهون صعوبة في الحصول على المهارات الرقمية، وسيؤثر ذلك في قدرتهم على استخدام الأدوات الرقمية استخداماً فعالاً ومسؤولاً في التعلّم وفي أماكن العمل. وغالباً ما ترتبط هذه العوائق بالظروف الاجتماعية والاقتصادية، والجندر (الجنس)، والخصائص اللغوية، وإمكانية الحصول على تلك المهارات.

أخبار طيّبة

يتضمن التقرير بعض الأخبار الطيبة؛ فمن المنتظر أن يزداد العمر المتوقع عند الولادة، ومن المتوقع أيضاً أن تستمر المكتسبات التي تحققت على امتداد السنوات الـ 100 الماضية في إمكانية حصول الأطفال على التعليم، ومن المتوقع أن يكون زهاء 96 بالمائة من الأطفال في العالم حاصلين على التعليم الابتدائي على الأقل في العقد الذي يبدأ بعام 2050، مرتفعاً عن نسبة 80 بالمائة المسجلة في العقد الذي يبدأ بعام 2000. وبالمثل، ومع تخصيص المزيد من الاستثمار في التعليم والصحة العامة وفرض إجراءات حماية بيئية أكثر حزماً، يفيد التقرير بأنَّ النتائج للأطفال سوف تتحسن كثيراً. فمثلاً، ستضيق الفجوة بين الجنسين في الحصول على التعليم، وسيتقلص التعرّض للأخطار البيئية.

توصيات التقرير:

يؤكد تقرير «حالة أطفال العالم لعام 2024» أهمية وضع حقوق الأطفال في مركز الاهتمام في جميع الاستراتيجيات والسياسات والأنشطة، حسبما تُحدِّد اتفاقية حقوق الطفل الصادرة عن الأمم المتحدة. ويدعو التقرير إلى **التصدي للتحديات والاستفادة من الفرص التي تنشأ عن التوجهات الثلاثة الكبرى المذكورة، وذلك من خلال الإجراءات الآتية:**

- الاستثمار في التعليم والخدمات وفي مدن مستدامة قادرة على التحمل من أجل الأطفال.
- توسيع الهياكل الأساسية والتقنيات والخدمات الأساسية وأنظمة الدعم الاجتماعي القادرة على تحمل الظروف المناخية.
- توفير الربط بالإنترنت والتصميمات التقنية الآمنة لجميع الأطفال.
-

كيف نستفيد من هذا التقرير في العالم العربي؟

لا شك في أن هذا التقرير يأتي وسط أحداث عالمية شديدة الوطء ما بين تطورات تكنولوجية وتقنية تلقي بظلالها وتحدياتها على الطفولة والقائمين على رعايتها في شتى أنحاء العالم، وتحديات مرتبطة بأزمة المناخ وآثارها السلبية في الأطفال، خصوصًا في الدول الفقيرة والمهمشة والتي يقع جزء من بلاد العالم العربي في نطاقها، ولاسيما الدول التي تعاني إلى جانب الأوضاع الاقتصادية الحروب والصراعات، وهذا يضاعف تأثير وحدَّة مشكلة التغير المناخي في الأسر في تلك البلدان، كما تأتي التغيرات الديمُغرافية والسكانية لتلقي بظلالها على الطفولة في الأسر الفقيرة والمهمشة.

زيادة في معدلات السكان المسنين في عام 2050 وتناقص عدد الأطفال

يؤكد التقرير على أهمية وضع حقوق الأطفال في مركـــز الاهتمام في جميع الاستراتيجيات والسياسات والأنشطة

من هنا تأتي أهمية تبني توصيات ذلك التقرير والجوانب التي أشار إليها في معالجة الآثار السلبية لتلك العوامل، ويمكن لصناع القرار والسياسيين والأكاديميين في بلدان العالم العربي تبني الإجراءات الآتية:

- تسليط الضوء على قضايا المناخ، والبيئة، والتقنية، والعوامل السكانية وتناولها بالدراسة والتحليل، سواء على مستوى العالم العربي ككل من خلال العمل المشترك، أم لكل بلد عربي بمفرده لتحديد آثار وتداعيات تلك القضايا الإيجابية والسلبية، ووضع سيناريوهات للتعامل مع تداعياتها، واستشراف المستقبل،وتبني الرؤى والسياسات على ضوء ذلك.
- الاستثمار في التعليم، والخدمات المقدمة للأطفال لخلق مواطن واعٍ بيئياً وتكنولوجيًا يستطيع التعامل مع التحديات الراهنة، والمشاركة في مواجهة أزمات البيئة والمناخ والتحديات السكانية، وتداعيات التطور التقني والتكنولوجي.
- إتاحة الإنترنت لجميع الأطفال من كل طبقات المجتمع؛ لأنه صار ضرورة لا غنى عنها في التعليم والتعامل مع كل ما هو جديد، وتنمية الوعي.
- التركيز على تنمية مهارات الطفل التقنية ليكون مواطنًا رقميًا يستطيع التعامل والحفاظ على هويته القومية والعربية، ويحافظ في الوقت نفس على انتمائه إلى العالم بوصفه مواطناً عالمياً، والتوازن بين البعدين المحلي والعالمي.
- التوعية بقضايا المناخ والتقنية والأزمة السكانية خلال مراحل التعليم؛ لتوعية الأطفال بدورهم تجاه التحديات التي تواجه البشرية جمعاء.
- تطوير أنظمة الدعم الاجتماعي لأسر الأطفال الفقيرة والمهمشة لتحقيق العدالة والإنصاف.
- التركيز على بعد الاســـــتدامة عند إنشاء المدن وتخطيطها، وإتاحة الخدمات للجميع.

توصيات التقرير لمعالجة الآثار السلبية لتلك العوامل

01
تسليط الضوء على قضايا المناخ، والبيئة، والتقنية، والعوامل السكانية وتناولها بالدراسة والتحليل

02
الاستثمار في التعليم، والخدمات المقدمة للأطفال لخلق مواطن واعٍ بيئياً وتكنولوجيًا يستطيع التعامل مع التحديات الراهنة

03
إتاحة الإنترنت لجميع الأطفال من كل طبقات المجتمع

04
التركيز على تنمية مهارات الطفل التقنية ليكون مواطنًا رقميًا يستطيع التعامل والحفاظ على هويته القومية والعربية

05
التوعية بقضايا المناخ والتقنية والأزمة السكانية خلال مراحل التعليم

06
تطوير أنظمة الدعم الاجتماعي لأسر الأطفال الفقيرة والمهمشة لتحقيق العدالة والإنصاف

07
التركيز على بعد الاستدامة عند إنشاء المدن وتخطيطها

خطوة بخطوة

عرائس من الأطباق

اصنع .. العب .. تعلم

يسعد مجلة (خطوة) أن تقدم هذا النشاط الذي يحمل عنوان: اصنع.. العب.. تعلَّم؛ حتى تستطيع كل أم/ أو معلمة أن تقوم بهذا النشاط - خطوة بخطوة - مع الطفل، وتتيح له فرص اللعب بأبسط الخامات وأقل الإمكانات.

إعداد وتنفيذ:
صدام العدلة
فنان عرائس - اليمن

الخامات المستخدمة:

- أطباق
- ورق ملوّن مقوّى
- ألوان ماركر
- مقص
- غراء لاصق
- صوف
- أزرار
- كرات من الصوف
- شريط ساتان

خطوات التنفيذ

استخدم الطبق:
الصق عليه الأزرار لتمثّل العينين، والصق كرات الصوف لتمثل الأنف.

استخدم أقلام الماركر:
ارسم الفم باللون الأحمر والحاجبين باللون الأسود.

استخدم الصوف:
اختَر اللون المناسب لك، والصق الشعر أعلى العينين.

اقلب الطبق مستخدماً قطعة شريط ساتان، الصقها في الخلف لتمثل المقبض للتحريك.

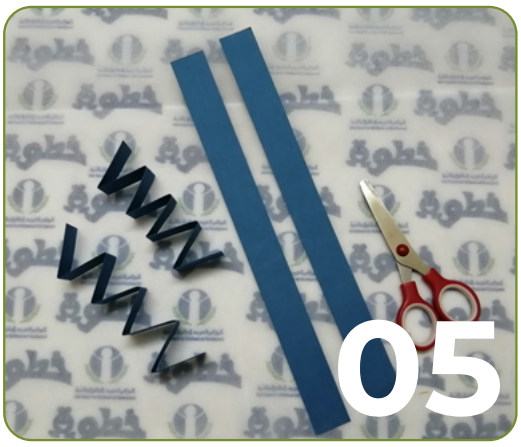

اختر اللون المناسب، وقص أربع قطع متساوية لتمثل اليدين والرجلين، وثبّتها في الخلف كما في الصورة.

أصبح الآن لديك عرائس من الأطباق، تستطيع أن تلعب بها.

بعد انتهائك من العمل... **لا تنسَ أن تنظف مكانك.**

قواعد النشر بمجلة خطوة

ترحب المجلة بنشر المقالات والخبرات للممارسين التربويين (أولياء الأمور والمعلمين والمعلمات. والمهتمين بشأن الطفولة في وطننا العربي)، وتقبل المجلة المقالات والخبرات والتجارب المحلية والعربية والدولية التي تُعظِّم وعي الأسرة العربية بقضايا الطفولة، وذلك وفق الآتي:

- ألا يزيد حجم المقال أو المادة العلمية على ست صفحات A4 (1500 - 1200) كلمة.
- أن تعتمد الأصول العلمية المتعارف عليها في الكتابة للمواد المراد نشرها، وبلغة عربية مبسطة.
- يفضل أن تدعم المقالات المقدمة برسوم وأفكار توضيحية تسهم في تقريب المعنى للقارئ.
- المجلة لا تنشر مواد سبق نشرها أو معروضة للنشر في مكان آخر.
- المجلة لا تنشر الموضوعات المقتبسة أو المستنسخة أو المنقولة من موضوعات منشورة على مواقع التواصل الاجتماعي.
- يحق للمجلة أن تطلب إجراء تعديلات شكلية أو شاملة على المواد المقدمة للنشر.
- الموضوعات المنشورة حق للمجلة، بحيث لا يتم نشرها في أماكن أخرى دون الإشارة إلى مصدرها.
- المجلة غير مسئولة عن نشر كل ما يرد إليها، أو رده في حالة عدم قبوله.
- ترحِّب المجلة بنشر مراجعات الكتب الجديدة سواء باللغة العربية أم الأجنبية، (شريطة ألا يتجاوز تاريخ صدورها ثلاث سنوات سابقة).
- تقبل المجلة عرض الرسائل العلمية (الماجستير أو الدكتوراه) في مجال الطفولة.
- ترحِّب المجلة بالمناقشات العلمية لما ينشر فيها أو في غيرها من المحافل العلمية والأكاديمية (الندوات، المؤتمرات، ورش العمل...).
- ترحِّب المجلة بنشر خبرات المعلمات والممارسين التربويين وأولياء الأمور والأطفال أنفسهم؛ بما يحقق الاهتمام والوعي بقضايا الطفولة.
- يتم عرض جميع الموضوعات الواردة على الهيئة العلمية للمجلة.
- يفضل تقديم راوبط أو وسائط إعلامية مع المقال تسهم في تفاعلية المجلة.

محـاور وملفـات الأعداد القـادمـة

- التربية الإيجابية
- الثقافة العلمية للأطفال
- الطفل والأسرة
- الطفل والمواطنة.
- الطفل والتغذية.
- الأطفال المهمشون.
- تحسين الاستعداد المدرسي

ملف العدد القادم:
التربية الرقمية

الاستفسارات والمقترحات والاشتراكات

المجلس العربي للطفولة والتنمية - إدارة تحرير مجلة خطوة

تقاطع شارعي مكرم عبيد مع منظمة الصحة العالمية – مدينة نصر – القاهرة – مصر

هاتف:29/24/23492023 (202+) فاكس:23492030(202+)

www.arabccd.org - media.accd@gmail.com

ملحق (كوكب واحد)

نشاط عرائس الأطباق

ذوو الهمم

إنَّنِي أنَا ... مِنْ ذَوِي الهِمَمْ
لِي إرَادَةٌ ... تَهزمُ الألَمْ
لِي عَقِيدةٌ ... تَصنعُ القيَمْ
إنَّنِي بِكُمْ ... أَعْتلِي القِمَم
إنَّنِي أنَا ... مِنْ ذَوِي الهِمَمْ

***

جِئتُكُم هُنَا ... بَاسِطًا يَدِي
إنَّني الوَفِيُّ ... مُنْذُ مَوْلِدِي
ذَاهبٌ إلى ... سَاحَةِ الغَدِ
بَسْمَتِي معي ... أرفعُ العَلَم
إنَّنِي أنَا ... مِنْ ذَوِي الهِمَمْ

***

اقْرأُ السُّحُبْ ... يَنزِلُ النَّغَم
كيفَ أنْسَحِبْ؟ ... إنَّه الكَرَمْ
كلُّ أضْلُعِي ... تَحْصِدُ النِّعَم
رِبُّنا هَنَا ... يَسمَعُ الكَلِمْ
إنَّني أَنَا ... مِنْ ذَوِي الْهِمَم

***

دَائِمًا مَعًا ... ندفعُ الأملْ
عندَ بابِنا ... تَنْتَهِي العِللْ
يَنْزَوِي الكَسَلْ ... نَبْدأُ العَمَلْ
لِي شَهادةٌ ... آيةُ القَلَم
إنَّنِي هُنَا ... مِنْ ذَوِي الْهِمَمْ

شعر: أحمد فضل شبلول - مصر

برنامج الخليج العربي للتنمية - أجفند
AGFUND
المجلس العربي للطفولة والتنمية
Arab Council for Childhood and Development